مصادر التوراة

(٧)

هل اليهودية ديانة سماوية؟

عبد المجيد همو

جميع الحقوق محفوظة

دار غار
حراء
دمشق - سوريا هاتف : ٢٢١٩٠٤٧

بموجب موافقة وزارة الإعلام رقم /٤٦٥٩٣/ تاريخ ٢٩ / ١٢ / ١٩٩٩

توزيع :
دار الهيثم - هاتف : ٤٤٤٥٦٦٥
دار الألباب - هاتف : ٢٢٣٩٨٢٠

الإهداء

إلى من ألغى عقله

وسار على آراء التوراة

إلى من ألغى نور عينيه وبصيرته

وسار في ظلماتالتوراة

عبد المجيد همو

كفر تخاريم

مقدمة:

١.نشوء الديانة اليهودية:

كثير من الناس من يتراءى لهم أن الديانة اليهودية هي أول ديانة سماوية أنزلت إلى الأرض على موسى عليه السلام والتوراة هو الكتاب المترل على موسى ليدين به اليهود ويعملوا به، وإذا ما سئل عن الديانات السماوية أجاب على الفور اليهودية والنصرانية والإسلام.

،هذه النظرة أوجبتنا أن نتعاطف مع اليهود سواء كنا نصلوى أو مسلمين فهم أصحاب الرسالة السماوية الأولى ولهم حق السبق في هذا وهم شعب الله المختار وما الناس من بعدهم إلا تبع لهم وعالة عليهم.

من هذه النقطة أحببت أن أبدأ لتفنيد هذا الرأي وأريهم أن هذه الديانة لا تمت إلى رسول الله موسى بصلة لا من قريب ولا من بعيد وأن الناس كانوا في أوهام اليهودية يسيرون وفي بحارهم يسبحون وعلى هديهم يسيرون ولقد نبه القرآن الكريم أول من نبه إلى ذلك وفرق بين جماعتين:

- جماعة موسى فناداهم ببني إسرائيل وذكرهم بفضله ومنه عليهم وكم قدم الله لهم من نعم فرفضوها وأكرمهم فقابلوه بالإساءة وحتى وصفهم القرآن في كثير من الآيات بقسوة القلب وأنها كالحجارة بل هي أشد قسوة، وإن من الحجارة لما يتفجر فتخرج منه الأنهار.

• جماعة اليهود ما ذكر اليهود في القرآن إلا ذكروا بالذم والغضب والمقت، وقد لعنوا في القرآن الكريم وكان القرآن العظيم يكذبهم في دعاواهم الواحدة تلو الأخرى:

١. انتسابهم إلى إبراهيم ويعقوب: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة: ١٤٠]، وقال الله تعالى في القرآن العظيم:﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ* إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧،٦٨].

٢. اليهود أبناء الله وأحباؤه وسترى هذا القول مبثوثاً في الكتاب المقدس في العهد القديم بصورة كثيرة وقد ردَّ القرآن هذه الفرية فقال الله تعالى: ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

٣.اختصاصهم بالجنة قال تعالى في القرآن: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:١١١].

٤.الهداية اختصوا أنفسهم بالهداية وقد ردّ القرآن ذلك: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥].

٥. زعم اليهود أنهم أولياء الله قال الله في القرآن: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[الجمعة:٥-٨].

قد وردت الآيات التي ذكرت اليهود على النحو التالي:

هادوا: البقرة ٦٢، والنساء ٤٦، ١٦٠، المائدة ٤١، ٦٩، الأنعام ١٤٦، النحل١١٨، الحج١٧، الجمعة٦، الأعراف١٥٦.

هود ويهود: البقرة١١١، ١٣٥، ١٤٠، ١١٣، ١١٤، المائدة١٨، ٥١، ٨٦، التوبة٣٠.

يهودي: آل عمران١٦٧.

الآيات التي ذكرت بني إسرائيل:

وتوزعت هذه الآيات على النحو التالي:

١. تذكيرهم بفضله ونعمته: البقــرة ٤٠،٤٧،١٢٢،٢١١، آل عمــــران٩٣، الأعـــراف١٣٧، يونـــــس٩٣، الإسراء٢،١٠١،١٠٤، طه٨٥، الشعراء٨٠، الســجدة٥٩، الدخان٩٣، الزخرف٥٩، غافر٥٣، الجاثية١٦.

٢. اللعنة على من كفر منهم: المائدة٧٨

٣. إرسال موسى من أجل خروجهم: الأعــــراف١٠٥،١٣٤، الإسراء١١١، طه٤٧.

٤. إرسال الرســول عيســى لدعواهــم: الصــف٤،١٤، آل عمران٤٩، المائدة٧٢،١١٠.

٥. الميثاق: البقؤة٨٣، المائدة٧٠.

٦. الخروج: الأعراف١٣٨، يونس٩٠.

٧. إسرائيل: آل عمران٩٣، مريم٥٨.

٨. ماذا كتب على بني إسرائيل: البقــرة٨٣، آل عمــران٩٣، المائدة١٢،٣٢،٧٢، الإسراء٤،١٠٤.

٩. القرآن وبنو إسرائيل: النمل٧٦.

١٠. تاريخ بني إسرائيل: المائدة١١٠، يوتس٩٠، البقــرة٢٤٦، طه٩٤، الشعراء٢٢،١٩٧، الزخرف٥٩.

الشيء الثالث الذي أحب أن أذكره في هذا المجال آيات موسى ويمكن توزيعها على النحو التالي:

١.موسى وبنو إسرائيل: البقرة٥١،٩٢، الأعراف١٢٨،١٦٠، النساء١٥٣، يونس٨٤،٨٧، هود١١٠، إبراهيم٥،٦،٨، طه٧٧،٩١، الشعراء٥٢،٦٥، القصص٣٤،٧٦.

٢.موسى وفرعون: الأعراف١٠٣،١٢٨، يونس٧٥،٨١،٨٨، الإسراء١٠١،١١، طه٤٩،٧٠، الشعراء١٠،٤٨، القصص٣٦،٤٨/ غافر٢٦،٣٧.

٣.موسى والرسالة: آل عمران٨٤، الأنعام٨٤،٩١،١٥٤، يونس١٦، إبراهيم٥، الإسراء٢، الأنبياء٤٨،٤٤، المؤمنون ٤٥،٤٩، الفرقان٣٥، السجدة٢٣، الأحزاب٧،٦٩، الصافات١١٤،١٢٠، غافر٢٣، الشورى١٣، فصلت٤٥، الزخرف٤٦،الأحقاف١٢، الذاريات٣٨، النجم٣٦، الأعلى١٩.

٤.قصة موسى: القصص٣،٣١، الكهف٦٠،٧٥، طه٩،٤٨.

٥.موسى والإسلام: قد يرى بعض الناس غرابة هذا العنوان فإذا ما كان موسى مسلما فما الديانة التي دعا إليها إذن؟

سأبرهن في الحالة الأولى على أن موسى مسلم، ومن ثم تكون دعوته إلى الإسلام بالصورة التي أقرها الله في كتابه المتزل على موسى التوراة الصحيحة وليست التي بين أيدينا حاليا، قال الله تعالى في القرآن

العظيم: (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[آل عمران:٨٤].

ويتابع القرآن الآية ٨٥: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ).

وهؤلاء السحرة من قوم فرعون يلقون ويسلمون بعد أن غُلبوا على أمرهم: (وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ)[الأعراف:١٢٦].

(وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُسْلِمِينَ)[يونس:٨٤]، وقال: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ).

٦. سليمان والإسلام: (قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)[النمل:٣٨] (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ)[النمل:٤٢] (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[النمل:٤٤]، ومن الآيات القرآنية يتبين لنا أن دعوة موسى لم تكن في يوم من الأيام دعوة إلى اليهودية ولا عرف هذه

الدعوة على الإطلاق وإنما كانت دعوته إلى الإسلام والإسلام فقط هو وكل الرسل (**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو من الخاسرين**).

ومن هذه الكلمات والآيات انطلق لأناقش الديانة اليهودية كيف نشأت ومن ثم هل هي دعوة سماوية أم وضعية؟

وليعذرني من تعود على سماع أن اليهودية ديانة سماوية وأنها ديانة موسى وبني إسرائيل، فهذا القرآن الكريم مستندي لمن كان مسلماً.

أما من لم يكن مسلماً سأبرز له أراء العلماء من غير المسلمين على نشوء الدعوة وما علاقتها بالسماء.

متى ظهرت اليهودية؟

هل الديانة اليهودية ديانة موسى؟

هذا ما نفيته من خلال القرآن الكريم وهو ما سأنفيه من خلال مناقشتي ومن خلال أقوال العلماء الواحد تلو الآخر.

وتختلف الآراء من شخص لأخر ولا حقيقة يقف عندها الباحثون بل يكتب على هواه وحسب خلفيته الثقافية ولو أضفنا إلى ما يمليه العقل ومن خلال ما وجد في الكتاب المقدس لألفينا أنها ديانة لا تمت إلى موسى بصلة فديانة اليهود هي ديانة الكتاب المقدس والكتاب بحد ذاته كما يقول مرسيا إلياد هو مشكلة من مشكلات العصر ويرى المؤلفون المحدثون أن ديانة إسرائيل تبدأ بإبراهيم وتبعاً للتقاليد فإن الرب اختاره ليصبح جد الشعب الإسرائيلي وليأخذ ملك كنعان، غير أن هؤلاء المؤلفين يصدمون

بالأحد عشر إصحاحاً في سفر التكوين قبل وجود إبراهيم واختياره وبدءاً من آدم، هذه الإصحاحات هي أكثر حداثة في التدوين من نصوص الأسفار الخمسة ويرى الباحثون أن أسطورة الخليقة قد لعبت دوراً ثانوياً في الوعي الديني لإسرائيل.

وبصفة عامة اهتمت الديانة اليهودية بالتاريخ المقدس وبعلاقتهم مع يهوه الإله أكثر من اهتمامهم بتاريخ الأصول للأحداث الأسطورية والخرافية البدئية.

ويقول مرسيا إلياد: ((ويمكن لهذا أن يكون صحيحاً من بداية بعض العصور وعلى الأخص بالنسبة لبعض النخبة الدينية إلا أنه لا يوجد حجة للاستنتاج بأن أجداد الإسرائيليين كانوا غير مبالين بالمسائل التي استهوت كل المجتمعات القديمة وبخاصة التكوينية وخلق الإنسان وأصل الموت وبعض المشاهد الأخرى العظيمة ولأيامنا بعد /٢٥٠٠/سنة من الإصلاحات فإن الأحداث المقررة في الفصول الأولى من التكوين تستمر في تغذية الخيال والفكر الديني لورثة إبراهيم واتباعاً للتقليد السالف نبدأ الموضوع مع الفصول الأولى من التكوين، إن التاريخ المتأخر لتدوينها لا يشكل مطلقاً أية صعوبة لأن المحتوى قديم وهو في الواقع يعكس المفاهيم الأكثر قدماً من قصة إبراهيم))[1].

لي على هذا النص مايلي:

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ص٢٠٣.

١.ربط الكاتب اليهود بإبراهيم وقد رأينا أن القرآن نفى هـــذه العلاقة وكثير من الكتاب من نفى ذلك ولا علاقة بـــإبراهيم ببني إسرائيل لا من قريب ولا من بعيد.

٢.نتبين من هذا النص أن هناك قصة إبراهيم والوعد قد سجلت قبل تسجيل قصة الخليقة والطوفان ولكن الكاتب لم يحدد لنــا من سجل هذا أو ذاك.

٣.نلاحظ التعاطف بين مرسيا إلياد والفكر اليهودي من خـــلال دفاعه عن تأخير التدوين.

٤.اعترف بالإصلاحات التي حدثت في هذه الفصول.

ويقرر الباحث شفيق مقار: ((فالقرن السادس قبل الميلاد كـــان الزمان وكانت بابل المكان في ذلك الزمن وذلك المكان صنعت الديانـــة اليهودية أخذاً عن المسمى السياسي للكيان دعـــي وقتـــاً إلى أن أزالـــه البابليون من الوجود باسم مملكة يهوذا وافتعل القوم أو بالأصح لتجمـــع سائب من عشائر بدوية متناحرة أطلق روائياً عليه اسم الشعب ونســـباً خيالياً بغية إعطاء ذلك الشعب عمقاً تاريخياً وأصلاً عرقياً ودينيـــاً عـــن طريق الحكي روائياً بأنه انحدر من أصلاب أسلاف عريقين اسموا تشـاعرا بالآباء في سياق عملية شاسعة من إعادة الصياغة وتأليف لنصوص منشئة للاهوتية بدا لمن اصطلحوا في هذه المهمة أنهم كانوا عن طريقها ينقـــذون ما أمكن العمل على إنقاذه))[١].

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ٤٧٨.

هذا ما ارتآه الكاتب الباحث شفيق مقار ويمكن أن نؤكد على بعضه:

١. نشأت اليهودية حسب رأيه في القرن السادس ولا أرى هذا وسأشرحه فيما بعد.
٢. أكد أن النصوص مؤلفة في هذا العهد وأنا أواخره أيضاً بعض الزمن إلى عزرا وإن كان حزقيال قد بدأ تأليف ما يراه في الزمن الذي أشار إليه الكاتب.
٣. التأكيد على أن لا علاقة لهم بما سموا بالآباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب وسيمر معنا كثيرون أكدوا هذه الناحية.
٤. لم تكن كلمة اليهودية كدين معروفة قبل هذه الفترة.

والآن أسأل العلماء الذين يسيرون في هذا الاتجاه ماذا كانت ديانة موسى وبني إسرائيل تسمى قبل هذا الوقت وفي أية ديانة كان يدين داود وسليمان.

ويرى الباحث مقار في كل الديانات يوجد فيها المعبود أولاً ثم تنسج الأساطير حوله والتي تستمد كل خطوطها ومكوناتها من الاعتقاد الأصلي بوجود المعبود والتصور البدئي لهويته وقدراته، وأما صنع يهوه كمعبود فقد وضع من خلال عملية تجميع تلفيقية لاختصاصات وقدرات آلهة أقدم وأعرق من يهوه(١).

(١). المصدر السابق ص ٤٩٦.

ويقول الدكتور أحمد شلبي: ((وحقيقة القول إن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية لأنها كانت تختلف مع ما يريدون من تاريخ ومن عقيدة))[1].

ويتساءل الدكتور شلبي ما الدليل على أن هذه الأسفار نسبت إلى غير مؤلفيها؟

في الإجابة على هذا السؤال يورد بعض النماذج التي تؤكد هذه الحقيقة دون شك:

١. أسفار موسى نقرر أنه لا يوجد بها من قريب أو من بعيد ما يفيد أن موسى هو الذي جاء بها أو أنزلت عليه بل على العكس من ذلك يوجد ما يقرر خطأ نسبة هذه الأسفار إلى موسى وفيما يلي من هذه الأسفار ما يدعم هذه الحقيقة:

- جاء في سفر التثنية: فمات موسى عند الرب في أرض موآب ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم، وليس من المعقول أن يكتب موسى ذلك عن نفسه.
- جاء في سفر التكوين: وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض آدوم قبلما ملك ملك لبني لإسرائيل.
- ويقول الباحث JSMITL عن سفر الخروج: إن هذا السفر الذي نقرؤه بين أسفار الكتاب المقدس لم يكتب إلا بعد فترة طويلة من الأحداث الواردة فيه وربما كانت هذه الأحداث

(١). شلبي أحمد: اليهودية ص ٢٢٩.

محفوظة جيلاً عن جيل إذ كان بعضها كما لا يزال الحال حتى الآن ضمن التلاوة الدينية التي يرتلها رجال الدين في المناسبات وبخاصة عيد الفصح.

٢. يرى بعضهم أن سفر يوشع كتبه أرميا وبين يوشع وأرميا أكثر من ثمانية قرون تقريباً.

ويرى آخرون أنه من تصنيف صموئيل،ويرى فريق ثالث أنه تصنيف فنحاص.

٣. سفر القضاة ينسبه بعض الكتاب إلى حزقيال وينسبه آخرون إلى عزرا وينسبه فريق ثالث إلى فنحاص، وبين عزرا وفنحاص أكثر من تسعة قرون.

٤. سفر دانيال لا يمكن أن يكون قد كتب في ذلك الزمن البعيد الذي روي أنه عاش دانيال فيه أي عندما سقطت بابل في يد الملك الفارسي كورش عام ٥٣٨ ق.م بل لا بد أن يكون هذا السفر قد كتب بعد ذلك بثلاثة قرون أو أربعة للأسباب التالية:

- يتضمن هذا السفر كلمات مقدونية مع أن اليهود في الأسر البابلي لم يكونوا قد خالطوا اليونان ولا حكت أسماعهم للغة اليونانية.
- فيه وصف للكلدانيين لا يتسنى الإتيان به لكاتب سابق على عصر الإسكندر.

- اقتبس طرفا من أقوال أرميا وحزقيال وزكريا مع أن هؤلاء الأنبياء متفرقون في الزمن ، فأرميا بداية الأسر وحزقيال في وسطه وزكريا في أواخر الدولة الفارسية.

٥. كتاب راعوث قال بعضهم إنه تصنيف حزقيال وقال بعضهم تصنيف عزرا وقال اليهود وجمهور من المسحيين إنه صموئيل.

٦. كتاب نحميا قال سمهاني سنش وأبي فانيس وكريزاستم إنه من تصنيف عزرا وقال آخرون إن كاتبه نحميا.

٧. الزبور اختلف القدماء في مصنفه:

- كريزاستم وأكستاين وغيرهما قالوا من تصنيف داود.
- قال هيلري واتهان وسيش وجيروم مؤلف مجهول.
- قال هورن إن قول كريزاستم وجماعة غلط ونسب ذلك إلى موسى وداود وهمان وأتهان وهو كما ورد في التوراة.

ولن أسترسل في شرح ذلك فخير القلادة ما أحاط بالعنق واسمع إلى القول في التوراة من بعض النقاد:

قال أكستاين: إن اليهود حرفوا التوراة النسخة العبرانية في بيان زمن الأكابر الذين كانوا قبل الطوفان وبعده إلى زمن موسى عليه السلام، وفعلوا هذا لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ولعناد الدين

المسيحي وبه يعلم أن قدماء المسيحيين كانوا يقولون عنه وكانوا يقولـون إن اليهود حرفوا التوراة في سنة ١٣٠ميلادي))[1].

وإذا أردت تتبع التحريف فما عليك إلا أن تقرأ كتاب إظهار الحق ونسخ التوراة المشهورة ثلاث نسخ:

النسخة الأولى العبرانية وهي المعتبرة عند اليهود وجمهور علماء بروتستنت.

النسخة الثانية اليونانية وهي المعتبرة عند المسيحيين إلى القرن الخامس عشر، وكانوا يعتقدون إلى هذه المدة تحريف العبرانية وهي إلى هذا الزمان معتبرة عند الكنيسة اليونانية وكذا عند كنائس المشرق.

النسخة الثالثة السامرية وهي المعتبرة عند السامريين وهي تشمل الكتب التالية: أسفار موسى الخمسة ويوشع وكتاب القضاة فهي مؤلفة من كتب سبعة حتى إن خلافات جذرية في الكتابات حول المكان المقدس هل هو جبل جرزيم أم جبل عيبال؟

ونحن نلحظ في هذه الفترة بروز اتجاهين في اليهودية من خلال كتبهم: الاتجاه الأول الاتجاه النبوي والذي يمثله حزقيال، والاتجاه الكهنوتي ويتميز الاتجاه النبوي أنه أقرب إلى النفس وأشمل إلى البشر والإله يهوه يبدو لديهم أنه بدأ يميل إلى الشمولية، أما الاتجاه الكهنوتي فهو أكثر اهتماماً بالمظاهر وتعلقاً بالقومية وأشد تعصباً.

---

(١). رحمة الله بن خليل الهندي العثماني: إظهار الحق ص ٢٧.

هذه هي الصورة التي وصلتنا بها الأسفار الخمسة وهي الأساس للعهد القديم وعليها مدار اليهودية بشكلها الكامل للدين اليهودي.

لكنها باتت مثار النقد وكانت موضوع جدل كبير ومعقد وطويل ولم يقبل العلماء بنسبة الأسفار الخمسة إلى موسى وحاولوا ترتيب هذه الأسفار حسب الترتيب الزمني لتأليفها،و قد قدم يوليوس فلها وزن ترتيباً جديداً فنسب تأليف الأسفار الخمسة إلى ما بعد موسى بقرون عديدة ذاكراً عدة أسباب منها وجود إيل ويهوه وتكرار بعض القصص والفروق البينة في اللغة والأسلوب بين أجزاء مختلفة من هذه المجموعة كل هذا أقنع العلماء الباحثين أن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى كانت في الواقع نتيجة تصنيف من مصادر مختلفة وقد حددت أربع مصادر أساسية:

١.المصدر اليهوي وينسبونه إلى عهد المملكة يهوذا وهو يستعمل اسم يهوه إلهاً.

٢.المصدر الإيلوهيمي وينسب إلى عهد مملكة إسرائيل في الشمال وقد أدمج ــ هذا ما يقوله علماء التوراة ــ بعد سقوط مملكة الشمال حوالي ٦٥٠ ق.م.

٣.المصدر التثنوي أعلن عن العثور عليه في زمن الملك يوشيا عام ٦٢٠ وكان أساساً لإصلاح ديني كبير.

٤. المصدر الكهنوتي وهو يرجع إلى عزرا وقد أدمج في المصادر السابقة حوالي بداية القرن الرابع قبل الميلاد وكانت النتيجة الأخيرة الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى.

ولنعد إلى نقد هذا الكلام بحيث يصبح الكلام منطقياً:

١. لقد عرفنا أن بختنصر أحرق النسخ الموجودة للعهود السابقة ولم يبق أية نسخة أمام جماعة السبي فمن أين أتى التقليد اليهوي والتقليد الإيلوهيمي وتقليد التثنية؟

٢. إذا أدمج العهدان حوالي سنة ٦٥٠ ق.م وأتى سفر التثنية في عام ٦٢٠ ق.م بعد ثلاثين سنة من اتحاد التقليدين فلماذا بكى يوشيا وأعلن أنه لم يعرف الآباء والأجداد شيئاً عن الشريعة وسفر التثنية صورة عن التشريعات الموجودة في الأسفار الثلاثة الأخرى الخروج والعدد واللاويين.

٣. عظم اليهود عزرا بشكل كبير واعتبروه باني اليهودية فإذا كانت له إضافة بسيطة فماذا فعل؟

٤. هذه النظرية ترى أن الأسفار الأخرى وضعت وخرجت إلى الوجود على النحو التالي:

- أسفار الأنبياء أرميا أشعيا، حزقيال، باروخ، حبقوق، زكريا.
- الأسفار التاريخية صموئيل، الملوك، أخبار الأيام.
- الأسفار الخمسة.

ولكن جمع هذه المواد وترتيبها الترتيب الذي وصلنا في هذا الشكل وليس الترتيب الزمني، و لم تعتبر الأسفار الخمسة مقدسة إلا في زمن متأخر واختلف العلماء الباحثون من مدرسة إلى أخرى في ترتيب هذه المواد ولكن لي بعض الأسئلة:

١. إذا كان التقليد اليهوي هو ما كتب في عهد مملكة يهوذا والإيلوهيمي في مملكة الشمال فهل ثمة دينان وقومان، كل قوم يعبدون إلهاً فالجنوب يعبدون يهوه والشمال يعبدون إيل، فأيهما الكتاب الموحى لموسى؟ وأيهما الدين الموسوي الأصيل؟

٢. إذا كان اتهام الكتاب المقدس للمملكة الشمالية بالانحراف عن الدين وعن الإله فما الرابط الذي يربط بينهما وأي دليل على توحيد التقليدين في ٦٥٠ق.م؟

٣. إذا كان سفر التثنية في عام ٦٢٠ ق.م فلا لزوم له على الإطلاق ولن يثير هذه الضجة الكبيرة التي آثارها يوشيا واعتمد هذا السفر اعتماداً كلياً إلا إذا كان التقليدان غير موجودين على الإطلاق ورأى في سفر التثنية الشريعة الجديدة، مما يدل على أن سفر التثنية قد كتب في غيبة التقاليد الأخرى ثم نشأ التقليدان بعد ذلك.

٤. إن عزرا مؤلف التوراة الحالية وكاتب شريعة اليهود لم يقم بعمل كبير إذ جمع هذه التقاليد السابقة.

وإنما أقول ما قاله حسن حدة: وفي هذا الوقت لم يكن لليهود أية وثيقة تاريخية أو غير تاريخية فكتبت التوراة عشوائياً وكيفياً وحسب تجليات الفكر الكهنوتي اليهودي.

وقد كان للكهنة الذين بدءوا يكتبون ينتمون إلى اتجاهات عديدة منها الاتجاه الإيلي وفيه بقايا من ذكريات موسى.

والاتجاه اليهوي وفيه التأثير بالديانة الفارسية فيهوه ليس إلا الإله الفارسي المؤنث ياهي ولم يكن موسى يعرف يهوه ولا سمع به، ثم أضيف سفر التثنية وهو يمثل اتجاهاً ثالثاً، أما بقية الكهنوت وهو الذي يمثله حزقيال وبقية الأنبياء الذين أثر فيهم السبي والانغلاق والعصبية فقد أضافوا بأقلامهم ما سمي بالكهنوتي، هذه الاتجاهات الأربعة تجمعت في عهد عزرا وكان منها هذه الأسفار الخمسة التي عرفت بأسفار موسى.

ولأشرح ذلك بإيجاز:

هنالك مجموعتان دينيتان مجموعة تعبد إيل وهي تنتمي إلى بني إسرائيل وهي التي تشكل المجموعة الغالبة وصاغت كما تريد صياغتها، وهناك زمرة ومجموعة دينية أخرى تعبد يهوه وهي الفئة المقربة من الحكم الفارسي والتي استطاعت أن تحصل على الوعد بأرض فلسطين ليوجدوا لأنفسهم كياناً ذاتياً وكانت القائدة والتي تسيطر سيطرة فعلية على الأمور، ولهذا جعلت يهوه الإله المفضل بالإضافة إلى الاعتراف بإيل إله الجماعة السابقة الذين سباهم بختنصر.

هذه العملية لم تقم بين عشية وضحاها وإنما امتدت لسنين فقد كان السبي في عام ٥٧٨ ق.م وكان عزرا في عام ٣٩٢ ق.م وبينهما ما يقرب المئتين من السنوات وفي خلالهما تطور الفكر الديني عند هاتين المجموعتين وفيها غلبت فئة يهوه فقد كانت المقربة إلى الحكام الفرس وأكثر قدرة على التلون وهم الذين نسبوا أنفسهم إلى سبط لاوي.

العهد الذي حصلوا عليه من الفرس الحكام في العودة إلى فلسطين صاغوه في كتبهم المقدسة واعتبروه وعداً على لسان يهوه وإن كان الوعد قد كتب ثلاث مرات وفي كل مرة يختلف عن الثاني وكان الوعد يختلف مداً وجزراً حسب الوعد الذي يحصلون عليه من قبل الحاكم الفارسي، وفي عهد أرتحشستا الثالث في زمن عزرا ونحميا قر القرار على استملاك فلسطين ونسبوا هذا الوعد إلى كورش وكورش لا يعرف عن ذلك شيئاً وربما كان وعداً كوعد بلفور لكنه لم ينفذ إلا في عام ١٩٤٨ م أما وعد كورش إن صح أنه وعد فقد كان في ٤٣٨ ق.م ونفذ في عام ٣٩٢ ق.م ما يقرب عن مائة وخمسين بين هذين الوعدين تم تشكيل ما يسمى باليهودية، ولهذا كتب أحبار اليهود توراهم باللغة الآرامية والخط الآشوري المربع سارقين في هذا الكتاب ما استطاعوا سرقته من حضارات الأمم الأخرى مشوهين وماسخين وناسخين ومحافظين على نقاط ثلاثة:

١. الإله يهوه.

٢. الإله إيل.

٣.الترفع عن بقية الناس رداً على الكبت الذي كانوا يحيونـــه في الأسر، إنهم أرادوا أن يظهروا للفرس أنهم أسمى من أي شعب آخر يريد الفرس أن يتعامل معهم ضد الدولة البابليـــة فـــهم الشعب المختار وهم أبناء يهوه البكر.

من هذه النقاط الثلاثة صيغت التوراة صياغة جديـــدة ضـــاربين بتوراة موسى الضائعة والمفقودة عبر الحائط.

ولهذا قال عنهم الكاتب اليهودي فرويد: ((الديانة اليهودية ديانة متباهية متزمتة ولهذا تم الاتفاق على توحيد يهوه بـــإيل وأصبـــح الإلـــه الساكن في مكان معين إلهاً واحداً مفرداً تام القدرة لا يدانيه أحـــــد ولا يقوى على اجتلاء وجهه أحد ولا ينبغي لأحد أن يخط له صورة أو حـــق أن يلفظ اسمه))[1].

وصار المعبود يهوه خلافاً لما صوروه في الكتب الخمسة يـــزدري التضحية والطقوس إنه يتطلب الإيمان به وهذا ما كان يريده حزقيال إنـــه يختلف في تفكيره عن يهوه القديم الذي لا يرضيه إلا تشمم رائحة الـــدم واللحوم المحترقة من الأضاحي لتكون رائحة ســـرور للـــرب وكـــانت الروايات التي قدموها جسراً يصل بين عصرهم وما بين عصـــر موســـى كما تخيلوه مع بقايا ذكريات في أخيلتهم وكانت هناك شقة واسعة بـــين التشريعين لأن تشريع موسى قد ذهب ولم يبق منه شيء وأخذوا التشريع عن الأمم المجاورة وخاصة حمورابي والدولة البابلية ويقول فرويـــد ومـــع

---

(١). فرويد سيغموند: موسى والتوحيد ص ٥٠.

ذلك فإن ديانة موسى لم تختفِ تماماً دون أن تترك أثراً فقد عاش نوع من ذكراها نوع من التراث حجب وشوه[1].

وجاء في سفر عزرا في الإصحاح السابع عشر الذي يؤرخ طرقاً من عودة جماعة من المسبيين من بابل إلى أورشليم، أن عزرا كان كاتباً ماهراً في توراة موسى التي أعطاها الرب إله إسرائيل فبذل لـه الملك أرتحششتا كل ما طلب وأصعده إلى أورشليم وأمره بإقامة حكم إلهه وشرائع إلهه وشريعة الملك ثم جاء في الإصحاح الثامن من سفر نحيميا الذي يؤرخ كذلك طرفاً من الحقيقة المذكورة آنفاً أن الشعب العائد اجتمع في ساحة المعبد وطلب من عزرا إحضار سفر توراة موسى فأحضره وأخذ يتلوه أمام الجماعة، ولا يمكن الجزم بما إذا كان عزرا كان يحفظ التوراة غيباً وكتب السفر من ذاكرته أم كان يحتفظ بنسخة من التوراة التي يمكن أن تكون نسخة من التوراة التي قال حلقيا الكاهن أنه وجدها في بيت الرب[2].

ولما عدت إلى السفرين وجدت أن الكاتبين يتكلمان عن النقاط التالية:

١.العائدين إلى فلسطين من اليهود.

٢.الزمن زمن أرتحششتا ولا يحدد لنا أي أرتحششتا ولما عدت إلى زمن عزرا فألفيته ٣٩٢ ق.م عرفنا أن ذلك تم في عهد

---

(١). المصدر السابق ص ١٤٦.

(٢). دروزة محمد عزة: القرآن والمبشرون ص ٣٥.

أرتحششتا الثالث وما بين ٣٩٢ – ٥٨٧ ما يقارب أكثر من مائتي عام فإذا كان العائدون إلى فلسطين يستطيعون الاجتماع في ساحة المعبد فهم قلة وهم الذين صدر إليهم الأمر بالعودة ومن هنا نستطيع أن نبدي الملاحظات التالية:

- كل ما كتب عن وعد كورش فهو زيف والعودة لم تتم إلا في زمن أرتحششتا الثالث وبدهاء أستير ونحميا وعزرا.
- لم يكن زربابل بن شالتئيل إلا في زمن عزرا.
- اليهود في ذلك الزمن قلة حسب الرأي التوراتي لكنهم غرسوا بحد السلاح وبقوة الاستعمار الفارسي.
- قالوا عن سفر توراة موسى وإذا ما كانت توراة موسى تتألف من خمسة أسفار فأي سفر يقصدون اللهم إلا إذا كنا أمام أمرين:

١. ما يسمى بالأسفار الخمسة كلها مجموعة في سفر واحد وهذا مستحيل يناقضه ما جاء في عهد يوشيا عن وجود سفر الشريعة.

٢. لم تكن التوراة بأسفارها الخمسة مكتوبة وإنما الذي كان مكتوباً هو سفر واحد وأتم كتابة التوراة بعد مجيئه إلى القدس وبهذا يكون قد تمت كتابة التوراة أثناء القرن الرابع قبل الميلاد وكل ما قيل عن مكتشفات البحر الميت يجب أن تكون بعد ذلك التاريخ بزمان بعيد.

أما الدكتور محمد فرزت حرب فهو يقرر أن كتابة التوراة قبل ذلك الوقت بقليل في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، جمع الكهنة اليهود قوانين العهود الماضية ونسبوها إلى موسى فتشكل منها الكتب الخمسة التي تحتوي الأساطير والتنبؤات والأشعار والقوانين المدنية والجزائية....

والآداب العبرانية المعروفة ذات طابع ديني حيث أضاف الكهنة إلى الكتب الخمسة نصوصاً كثيرة كأحاديث الأنبياء وحوليات تاريخية ومجموعة من النصائح والحكم والأخبار والأناشيد والأغاني...

وقد اقتبس العبرانيون الكثير من الأدب الفينيقي ودخل في كتاباتهم المقدسة وخاصة سفر التكوين وقصص الأنبياء وجاءت الكتابات الأوغاريتية تكشف عن ذلك، وهناك تشابه بين سفر أيوب والأدب الأوغاريتي[1].

ويتضح مما تقدم أن التوراة كتبت بعد إبراهيم الخليل بأكثر من ألف وأربعمائة سنة وبعد عهد موسى بأكثر من ثمانية قرون وهي بالطبع غير التوراة التي نزلت على موسى، ويؤكد لودز ذلك بقوله: إننا لا نستطيع أن نؤيد صحة الرجوع تاريخ أي قسم من الأسفار الخمسة وحتى الوصايا العشر إلى موسى لأن ما ورد من روايات في هذه الأسفار قد تعرض أكثر من بقية أسفار التوراة إلى تكرار وإعادة تصنيف وإلى تغيير وتوسيع مستمرين على مر العصور.

---

(١). حرب محمد فرزات: موجز تاريخ سورية القديم ص ٢١٧.

ويعترف العالم اليهودي سيلفر بأن التوراة الحالية لا تمثل توراة موسى الأصلية في أية ناحية وحتى الوصايا العشر التي يكاد العلماء يجمعون أنها الشيء الوحيد المتبقي من التوراة الأصلية لم تكن في شكلها ومضمونها الحاليين كتلك التي أتى بها موسى، ويقول العالم الألماني مورتكات لا يمكن الاعتماد من الناحية العلمية على أساطير التوراة[1].

وخير من يمثل هذا الرأي قرار اللجنة الحبرية التوراتية في ١٩٠٦/٦/٢٧: ((ويمكن القول بأن موسى استعمل وثائق مخطوط وتقاليد شعوبية سائدة ونُقل عنها ما يوافق الغاية التي استهدفها بالهام الروح القدس وأنه نقل تارة النصوص بحروفها وتارة بمعناها وأخرى بتلخيص أو إسهاب وإن الكتب الخمسة المذكورة قد تعدلت بنصوصها مع مرور الزمن بحيث أضيفت مثلاً نصوص كتبها ملهم بعد وفاة موسى وزيدت تفسيرات وتحولت تعابير قديمة إلى تعابير مستحدثة وإن هناك أخطاء اقترفها النساخ))[2].

ويمكن أن نعتمد التواريخ لاستقرار هذه الكتب على النحو التالي:

١. عرفنا متى استقرت الكتب الخمسة.

٢. كتب الأنبياء والتواريخ ثبتت نحو القرن الثاني قبل الميلاد.

---

(١). سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ /جـ١ ص٢٧٤/.

(٢). الخازن نسيب وهبيه: أوغاريت ص ٧٩.

٣. كتب وأسفار المزامير والأمثال وأيوب ونشيد الإنشاد وراعوت والمرائي والجامعة وأستير وعزرا ونحميا وأخبار الأيام اتخذت شكلها النهائي في القرن الأول الميلادي.

وأقدم نصوص التوراة التي عثر عليها حتى الآن هي بعض أسفار العهد القديم تعود إلى القرنين الأخيرين قبل الميلاد آثار قمران منها درج كامل لنبوة أشعيا وبينها درج يحتوي على جزء من كتاب اللاويين ومقطوعات كبيرة من رؤيا أورشليم الجديد ودرج من المزامير ونص لسفر أيوب بالآرامية، ومقاطع من أسفار التكوين والخروج والتثنية.

أما الترجمة السبعونية من العبرية إلى اليونانية فتمت حوالي /٢٥٠ ق.م/ بواسطة ٧٢ حبرا يهوديا ولم يترجم آخرها إلا حوالي سنة /١٠٠ ق.م/ وأهمية هذه الترجمة أنها أخذت عن نص عبري أقدم من النص الذي بين أيدينا.

وكل الدراسات ترى أن التوراة التي بين أيدينا تختلف اختلافا كبيرا عن توراة موسى وتقول الكاتبة الأديبة أبكار السقاف إن هذه التوراة التي بين أيدينا وهي مصدر العقيدة للدين اليهودي الحالي تعتبر موسى خائنا وأن الرب غضب عليه وأمر بموته جزاء خيانته فكيف بعد ذلك يمكن أن ينسب هذا الدين إلى موسى؟[1]

---

(١). سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ /جـ١ ص٤٩٢/.

٢.اعتراف بأصولها الغربية

لقد اعترف كثير من الباحثين بأنها استمدت كثيراً من الأبحاث مما حولها ويتفق الباحثون عموماً على أن التوراة التي تمثل الديانة اليهودية مقتبسة من أصول قديمة تعتمد على ثقافة الكنعانيين والمصريين والبابليين بالدرجة الأولى.

ومع أنها تركز على تاريخ اليهود فهي تنقل من خلال عرضها للمعلومات معلومات جغرافية وتاريخية هامة عن أسماء المدن والأماكن والشخصيات الكنعانية القديمة في فلسطين[١].

يقول الدكتور سوسة في مكان آخر من كتابه: ((إن الأبحاث الأثرية برهنت على عدم صحة أكثر الأساطير التي وردت في التوراة كما وهناك أبحاث تبرهن على عكس هذه الأساطير التي تقول بقرابة بين الآراميين والعبرانيين واليهود ونتحسس كل التحسس أن الأحبار قد اقتبسوا من تواريخ الأخطاء التي جاسوا خلالها بعض الحكايات فعبرنوا كل المعلومات.

ولكن لماذا كل هذه اللصوصية من قبل الصهاينة؟

الغرض منها تلفيق أكذب تاريخ للعالم يثير أعظم ضجة فيه وكل ذلك لاختراع ملفقة الشعب اليهودي المختار))[٢].

---

(١). سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ /جـ١ ص ٢٥٩/.

(٢). المصدر السابق /جـ ١ ص ٤٧٦/.

أخذ اليهود جنة عدن من أساطير البابليين اقتبسها الفريسيون وكان عليهم إيجاد مكان مناسب لها فاختاروا عدن.

والواقع يشير إلى أن الفريسيين اختاروا هذا الموقع اعتباطياً من وصف حزقيال وبالغوا فيه مما أضاع جميع الباحثين إلى يومنا هذا، فوصف حزقيال لعدن جنة الله هو وصف ينطبق على جنوبي لبنان ولم يكن لهذا الموقع أية علاقة مع قصة التكوين عند حزقيال[1].

ويقول سهيل ديب: يجمع الباحثون والعلماء على أن كتاب حزقيال وضع أولاً ومن ثم كتب من حوله الكتب الأخرى وعلى رأس هؤلاء العلماء الباحثين علماء اليهود، ويرى ديب أن سفر حزقيال يعري التوراة تعرية تامة ولعل هذا هو سبب تجاهل اليهود لسفر حزقيال ورفضه في بعض الأحيان لأن هذا السفر يضعنا أمام واقع مذهل بل ومزعج لبعضهم.

ويؤكد الكاتب الباحث أسد أشقر أن اليهود قد سرقوا الدين عن المدينيين والكنعانيين والبابليين وشوهوا ما سرقوه حسب نفسية إلههم يهوه شاذين عن النفسية السورية المتطورة الخلاقة المعطاءة فقد كانت لهم وكان لهم إله ولكن دينهم لهم وحدهم ديناً قبلياً بدائياً وقد أبت نفسيتهم المريضة أن تعطيه للأمم الأخرى، وكان لهم إله ولكنه إله يخصهم

(١). ديب سهيل: التوراة تاريخها ص٤٩.

وحدهم يقودهم إلى القتل والتدمير والمذابح وإفناء مضيفيهم الكنعـــانيين والأموريين و لم يكن إلهاً للإنسان أينما وجد كإله المسلمين(١).

وقد ورد وصف الجنة عند حزقيال على النحو التالي:

((وكان إلي كلام الرب قائلً: يا ابن آدم أرفع مرثاة على ملـــك صور وقل له هكذا قال السيد الرب أنت خاتم الكمال مـــلآن حكمـــة وكامل الجمال كنت في عدن جنة الله، كل حجر كريم ستارتك عقيـــق أحمر وياقوت أصفر وعقيق أبيض وزبرجـــد ويشـــب ويـــاقوت أزرق وبهرجان وزمرد وذهب، أنشأوا فيك صفة صيغة الفصوص وترصيصـــها يوم خلقت أنت الكروب المنبسط المظلل، وأقمتك على جبل الله المقـدس كنت بين الحجارة النار تمشيت، أنت كامل في طرقك من يوم خلقـــت حتى وجد فيك أثم، بكثرة تجارتك ملأوا جوفـــك ظلمـــاً فأخطـأت فأخرجك من جبل الله وأبيدك أيها الكروب المظلل من بين حجارة النـار قد ارتفع قلبك لبهجتك أفسدت كلمتك لأجل بهـــائك ســأطرح إلى الأرض وأجعلك أمام الملوك لينظروا إليك)) حزقيال ٢٨/١١-١٧/.

هذا النص يختلف تمام الاختلاف عن وصـــف الجنـــة في ســـفر التكوين:

١. كلمة عدن في اللغة العبرية لا تفيد مكاناً معيناً في اليمن كمـا أراد كمال الصليبي، وإنما عدن الإنسان إذا اســـتقر وأقـــام

(١). أشقر أسد: الخطوط الكبرى في تاريخ سورية /جـــ١ ص٢٥/.

وعدنت المكان إذا أقمت فيه وتوطنته ولهذا فجنة عدن بهذا المعنى تصير جنة الخلد وليست نسبة إلى مدينة عدن أو اليمن.

٢. تختلف هذه الجنة في وصفها عن جنة سفر التكوين، فهناك الزراعة والعمل في الحقل وهي مأخوذة من أرض العراق ومن بابل لأن العراق بلد زراعي أكثر مما هو تاجر، بينما وصف الجنة هنا وصف مالي بحيث وصف أرض تجارة و لم يشر الوصف هنا إلى أية قيمة زراعية معينة، وهنا الحجر الكريم والعقيق والزبرجد.

٣. ملك صور هنا أشبه بآدم فهو ملآن حكمة وكامل الجمال وهكذا كان آدم فالله قد صاغه بيده وعلمه الأسماء كلها.

٤. متابعة لسيرة آدم فهنا أخطأ ملك صور في تجارته كما أخطأ آدم في أشجاره وكانت الخطيئة وقبل الخطيئة لم يكن آثماً.

٥. ورد وصف الكروب في سفر التكوين إذ جعله حارساً بعد أن طرد آدم من الجنة، بينما هنا كان ملك صور كروباً، ولو اعتمدنا نظرية الصليبي فكروب بدون الحروف الصوتية كرب، وكرب في اللغة السبئية المقرب عند إله وملك صور هنا هو المقرب عند الله لكن السفر لم يبين لنا لماذا كان ملك صور كروباً.

٦. في قصة آدم كان الكروب يحمل سيف لهيب نار متقد ليبعد آدم من الجنة أما هنا فقد أبعده وطرحه أرضاً وجعل بينه وبين جنته جبلاً بركانياً وحجارة نارية.

٧. جبل لبنان شرقي صور وكذلك نود شرقي جنة عدن كما قال سفر التكوين، هذا السفر يختلف في نفسه عن نفس سفر التكوين ومن أين أتى حزقيال بجنته هذه لا أعلم.

وقد مرت جنة عدن في هذا السفر.

٣. منشؤها:

لقد وجدت فئة تدين بما كتب في التوراة في أسفارها الخمسة بالإضافة إلى سفر يشوع، وتعرف هذه الفئة بالسامريين نسبة إلى السامرة وهم يسكنون نابلس وتوجد لديهم نسخة قديمة من الأسفار الخمسة على ورق يدعون بأنها ترجع إلى ما قبل عهد المسيح وهم يرفضون كل ما عداها وما يزالون يتمسكون بها حتى اليوم.

وقد استقلت تلك الفئة بكيانها الديني وعمل اليهود على إخراجها من الحظيرة اليهودية فلم يفلحوا وقد بنو هيكلاً لهم خاصاً على جبل جرزيم عند نابلس واعتبرته بمثابة الطور، وقام بينها وبين اليهود عداء مستمر، وطائفة السامريين من أقل الطوائف على وجه الأرض عدداً إذ يبلغ مجموع أفرادها ٣٣٧ شخصاً بين ذكور وإناث وقد مر عليهم وقت غير بعيد لم يزد عددهم عن ١٠٠ نفس متفرقين في قرى مختلفة وقبل ٣٥٠ سنة لم يكن قد بقي منهم سوى خمسة ذكور وخمسة إناث لا غير

فجمعهم الكاهن صدقة بعد أن كانوا متفرقين في دمشق وغزة ومصـــر، ويرى السامريون أنهم ورثة بني إسرائيل جميعاً وحماة التـــوراة العـــاملون بتعاليمها ووصاياها العشر وأن الله قد اختارهم وأنهم هم البقية مـن أولاد يعقوب عليه السلام وتقوم عقيدة السامريين على خمسة أركان:

١. وحدانية الله.

٢. نبوءة موسى ولا تقر بغيرها.

٣. قداسة جبل جزريم.

٤. الإيمان بأن التوراة (خمسة أسفار) مترلة من الله.

٥. الإيمان بالبعث وأنه لا ريب فيه.

وتختلف توراتهم عن التوراة العبرية اليهودية في ستة آلاف موضـع أشار إليها الكتاب والباحثون ولا فائدة من بحثها هنا.

أوردت هذه الفرقة لأقول إن هذه التوراة التي يتبعها الســـامريون تختلف تمام الاختلاف عن توراة اليهود النص المسوري، ولعلنا نتســـاءل كيف نشأت هذه الفرقة ومن أين أتت نقول: امتزج المستوطنون الجـــدد ببني إسرائيل ليشكلوا السامريين واتحدت معتقداتهم الدينية في عبادة يهوه وحصل الانشقاق النهائي بين الفريقين بعد عودة عزرا ونحميا من الســـبي وطردا من أورشليم حفيد الكاهن الأعلى لزواجه مـــن ابنـــة الحـــاكم السامري، ويبدو أن الشاب المطرود أصبح كاهن السامريين وبنى هيكلـــه لأجله على جبل جزريم لينافس هيكل أورشليم وكان كتـــاب اليـــهود المقدس حينذاك يتألف من الكتب الخمسة فقد.

لقد رأينا في فقرة سابقة أن سفر حزقيال هو أول سفر كتب في عهد السبي ومن ثم عاش حزقيال فترة ما قبل السبي وما بعده وكان النبي الذي يسجل هذه الفترة وهو الذي سجل يهوه إلهاً ورفعه إلى مستوى الألوهية فأسبغ عليه عدة صفات من الألوهية لم تكن موجودة فيه ولم يكن قبل ذلك في عرف اليهود إلا إلهاً محلياً قبلياً.

وقد بدأ سفر حزقيال منذ السنة الثلاثين من سبي يوياكين الملك فإذا ما كان السبي عام ٥٧٨ ق.م فإن السفر يبدأ في عام ٥٤٨ ق.م ولكن تعداد السنين في السفر يجعلنا نشك في الثلاثين ونورد السنة الثالثة.

ولنتساءل ما الصفات التي أسبغها حزقيال على يهوه ؟

١. جعله ساكن السموات وفي عربة نارية.

٢. وصف الجلد أو السماء وهو وصف جديد بالنسبة للتوراة لم يمر فيها من قبل ذلك السفر حزقيال ١/٢٦-٢٨/.

٣. محاسبة كل إنسان على عمله ونقض للآراء التي وردت في أسفار موسى الخمسة فإن الآباء ليسوا مسؤولين عن الأبناء والعكس كذلك.

٤. يعطي يهوه فرائض غير مطلوبة حتى يضل الشعب ٢٠/٢٥-٢٦/.

٥. اعترافه بمجلس الآلهة ٢٨/.

٦. نفي وعد إبراهيم نفياً قاطعاً واسمع هذا النص: ((يا ابن آدم إن الساكنين في هذه الخرب في أرض إسرائيل يتكلمون

قائلين: إن إبراهيم كان واحداً وقـــد ورث الأرض ونحـــن كثيرون، لنا أعطيت الأرض ميراثاً لذلك قل لهم هكذا قـــال السيد الرب تأكلون بالدم وترفعون أعينكـــم إلى أصنـــامكم وتسفكون الدم أفترثون الأرض، وقفتم على سيفكم فعلتـــم الرجس وكل منكم نجس امرأة صاحبه أفـــترثون الأرض)) حزقيال ٣٣/٢٤-٢٦/.

هذا النص ينفي أية صلة بين الوراثة لإبراهيم وبني إسرائيل ومـــن ثم اليهود بعد ذلك.

٧. ورد يهوه واحد و لم يرد معه في هذا النص إيل على الإطلاق.

٨. ورد في السفر بأن إسرائيل لا تنقسم بعد هذا وقد انقســـمت إلى السامرية واليهودية مما يدل على أن هذا السفر ليس وحيـــاً من الله يوحى إنما هو تنبؤات لم تتفق مع الواقع والتاريخ.

إذن حزقيال هو أول كاتب ومنشئ اليهودية، ولكننا نلاحـــظ أن حزقيال وضع سفره دون أن يتطرق إلى الأسفار الأخرى، أما عزرا وهـــو أول الكتبة فقد نشأ كما قلنا في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد وبدايـــة الرابع فقد توفي سنة ٣٩٢ ق.م.

ومع عزرا ابتدأت تلك الفئة من المؤلفين الذين وضعوا التـــوراة والشريعة الشفهية والتي سيطرت لقرون عديدة على عقول اليهود وجميـــع مقدراتهم وكان الكتبة هؤلاء حزباً منظماً هو حزب الفريســـيين وهـــم الذين حملوا فيما بعد اسم الحاخامين أي معلمو الشريعة.

وقد سرق هؤلاء الأحبار أرضاً وادعوها وسرقوا تراثا وادعوه وسرقوا لغتنا وادعوها.

أما فرويد فقد قال: من المؤكد تاريخيا أن النموذج اليهودي تحدد نهائيا كنتيجة لإصلاحات عزرا ونحميا في القرن الخامس قبل الميلاد أي بعد النفي وخلال حكم ملوك فارس الذين كانوا أصدقاء لإسرائيل فطبقا لحسابنا فإن ٩٠٠ سنة تقريبا مرت منذ ظهور موسى وعن طريق هذه الإصلاحات أخذ الشعب التنظيمات التي تهدف إلى تقديس الشعب المختار مأخذ الجد وطبق الانفصال عن القبائل الأخرى بالقوة بمنع الزواج المختلط وأقر الأسفار الخمسة وهو التجميع الأصلي للشريعة في صورته المحددة وثم إعادة كتابة ما يسمى بالتشريع الكهنوتي ويبدو يقينا مع ذلك الإصلاح لم يأخذ اتجاهات جديدة ولكنه حقق ببساطة الاقتراحات، وينسب إلى عزرا كتابة التوراة عن طريق إعادة كتابة التراث(١).

ومع ذلك فإن قوتين متميزتين تركتا أثرهما على النص فمن ناحية كان تغييرات معينة أن تعمل عملها فيه مزيفة النص طبقا لميول مستترة تقطع منه وتزيد عليه حتى استحال إلى ضده.

ومن ناحية أخرى سيطر عليه ورع متسامح مشوق فاستبقى كل شيء كما هو... وهكذا يمكن أن توجد في كل مكان تقريبا محذوفات

---

(١). فرويد سيجموند: موسى والتوحيد ص ١٠٠.

بصورة مدهشة ومتكررات معوقة ومتناقضات ظاهرة وإشارات لأشـــياء لم يقصد توصيلها أبداً[1].

ويعترف فرويد بأن التشويه للنص لا يختلف عـــن الجريمـــة، ولا توجد صعوبة في تنفيذ العمل ولكن في التخلص من الآثار وكان بوســعنا أن نتمنى أن نعطي كلمة تشويه المعنى المزدوج الذي لها الحق فيه مع أنهـــا لا تستخدم الآن في هذا المعنى وكان يجب أن تعني ليس فقط تغيير المظهر ولكن كان يجب أن تعني كذلك التحريف.

ويقر فرويد إقراراً صحيحاً بأن العمل الأساسي للكهنة هو تطوير الطقوس والإشراف عليها بالإضافة إلى العنايـــــة بـــالنصوص المقدســـة ومراجعتها لموافقة أغراضهم وكان أولئك الرجال الأنبياء هم الذين ثـلروا على التبشير بمذهب موسى القديم: إن القديم يزدري التضحية والطقــوس إنه لا يريد إلا الإيمان وحياة ملؤها الحقيقة والعدل[2].

ولقد أراد الأحبار في عملهم الذي قدموه أن ينشئوا جسراً يصــل بين عصرهم الذي يعيشون فيه والعصر الذي وجد فيه موسى.

وحاولوا أن ينكروا وجود شقة بين تنزيل الشريعة الموسوية وبـــين الديانة اليهودية اللاحقة و لم يسع أحد لتغطيتها إلا فيما بعد، ومع ذلـــك

---

(١). المصدر السابق ص ١٠١.

(٢). المصدر السابق ص ١١٥.

فإن ديانة موسى لم تختف تماماً دون أن تترك أثراً فقد عاش نوع من ذكراها نوع من التراث حجب ومُوه[1].

فاليهود استخدموا كل وسائلهم ومواهبهم لا ليخدموا الحق بل ليحققوا أهدافهم فتركوا للناس تراثاً حافلاً بالانحراف يحتاج تصحيحه إلى جهد كبير، ويؤكد الدكتور شبلي أن توراة موسى لم يبق منها شيء، فاليهود بعد أن حرفوا عقيدة موسى وطباعه تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية لأنها كانت تختلف عما أرادوا من طباع وخلق وكتبوا سواها مما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ وعقيدة.

إذن وضع الكتبة اليهود في بابل الشريعة وكما يقول الدكتور روبن اتخذوا إجراءات استثنائية لعزل اليهود عن باقي العالم ونظموا حياتهم الخاصة تنظيماً دقيقاً قاسياً وفرضوا عليهم شروطاً حياتية تجعلهم تحت رحمة رؤسائهم ماداموا أحياء بل وجعلوا منهم فئة محقوداً عليها بل محاربة من باقي العالم عن سابق قصد وتخطيط مما لا يحسدون عليه إطلاقاً.

ولقاء ذلك الثمن الباهظ الرهيب أعطوهم الوعد بتملك العالم لكن بتاريخ لم يحدد[2].

(١). المصدر السابق ص ١٣٨.

(٢). ديب سهيل: التوراة تاريخها غاياتها ص ٥٢.

وقد نبه بعض الكتاب إلى العديد من الكهنة الذين كتبوا هذه التوراة بعد السبي وقد شهد الكثير من الباحثين بكتابة عزرا هذه الأسفار.

١. إن جمهور أهل الكتاب يقولون إن السفر الأول والثاني من أخبار الأيام صنفها عزرا بإعانة حجي وزكريا وكتب التواريخ شاهدة.

٢. قال ترتولين وهميو فكلت وأهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية وكذا نسخ العهد العتيق ضاعت من أيدي عسكر بختنصر ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضاً في حادثة......[1]

٣. يقول في هذا المجال أصطفان شربنتية: ((في السنة ٣٩٨ ق.م عهد الملك أرتحششتا إلى عزرا بإعادة تنظيم المنطقة، كان رجلاً ذا حزم فأعاد إلى الإيمان طهارته وأمر بفسخ الزوجات المقرونة مع غير اليهود وفرض شريعة إله السماء كشريعة للدولة.

لا شك أن هذه الشريعة هي التوراة الحالية التي حررها عزرا انطلاقاً من مختلف التقاليد وتعد التأدية المهيبة للعبادة الموصوفة في نحميا /٨-١٠/ من أهم ساعات تاريخ إسرائيل فهي بمثابة ميلاد رسمي لليهودية.

---

(١). العثماني الهندي رحمة الله بن خليل: إظهار الحق /جـ٢ ص١٦٤/.

فالاجتماع لا يعقد في الهيكل بل في الساحة وليس هو عبارة عن ذبائح دموية عن قراءة الشريعة والصلاة))[1].

فإذا كان الكاتب للتوراة الأسفار الخمسة وأكثر الأسفار الأخرى هو عزرا فإن حزقيال كان القائد الفعلي لليهود أيام السبي البابلي، أما أرميا فقد آثر أن يبق مع الضعاف في فلسطين ولهذا لا يمكن أن نقول إن أرميا قد كتب وساهم في كتابة التوراة.

٢.الديانة اليهودية هل هي سماوية

الديانة اليهودية

تزعم الديانة اليهودية أن اليهود انحدروا من سلالة واحدة هي سلالة إسرائيل لكن من يتتبع التوراة يلحظ أن هناك اضطراباً كبيراً في هذا النسب ويمكن أن نراه في عدة نقاط:

١.نسب إبراهيم فهو مرة آرامي تائه وهو مرة أخرى عبراني ينتمي إلى عابر وعابر حسب التوراة ينتمي إلى أرفكشاد بن سام بينما الآراميون ينتمون إلى إرم بن ماش بن سام وهناك الفارق الكبير بين النسبين وإن اجتمعوا في نهاية السلسلة بسام بن نوح.

لقد برهنت في كتابي جذور اليهود أنهم لا علاقة لهم بسام ولا بنوح ولا بإبراهيم.

(١). شربنتية أصطفان: دليل إلى قراءة الكتاب المقدس ص ٧٥.

٢.نسب إسرائيل فهم تارة يقولون إن يعقوب هو إسرائيل وتارة ينادون يعقوب وينادون إسرائيل وكأنهما شخصان منفصلان لا يمت أحدهما إلى الآخر بصلة.

ويؤكد علماء البيولوجيا ومنهم علماء يهود: أن اليهود ليسوا شعباً واحداً بل هم طائفة دينية تضم جماعات مختلفة من الناس اعتنقوا ديناً واحداً.

وتشهد التوراة بذلك فقد شهدت بكورش أنه المسيح المخلص وأنه اعتنق اليهودية وهو عنصر فارسي لا يمت بصلة إلى بني إسرائيل.

وانبنى إعلاء اليهودية كديانة على أساسين رئيسيين أولهما القول بأنها أول ديانة توحيدية في تاريخ العالم، وثانيهما القول بأنها ديانة سابقة أخلاقياً وأول تقنين أخلاقي رفيع في تاريخ العالم[1].

ولي على هذا الكلام النقاط التالية:

١.ليست اليهودية أول ديانة توحيدية في تاريخ العالم فقد سبق الديانة اليهودية ديانة أخناتون وقد اكتشف نشيد أخناتون في معابد أخناتون وبهذا بطل ادعاؤها.

كما أن إبراهيم الذي حاولوا الانتماء إليه كان موحداً قبلهم بما يقارب سبعمائة سنة كما اعترفت التوراة بأن ملكي صادق كان موحداً في أيام إبراهيم فقد كان كاهناً لله العلي كما كان بلعام بن باعور موحداً حسب اعتراف التوراة.

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٤١٠.

٢. الديانة اليهودية ليست توحيدية على الإطلاق فقد عبد اليهود إلهين مختلفين تمام الاختلاف إيل ومنه جاء التقليد الإيلوهيمي ويهوه ومنه جاء التقليد اليهوي.

٣. ليس يهوه بالإله العلي لكل البشر وإنما هو إله قبلي عرقي عنصري لا يسمو إلى مرتبة الألوهية وقد برهن شفيق مقار في كتابه الجنس في التوراة بأن الذي كان يمثل يهوه إنما هو قضيب ذكري سرق لبعل فغور فاتح الرحم وظيفته.

٤. لم تكن الديانة اليهودية سابقة إلى الأخلاقيات بل على العكس فالديانة اليهودية ديانة ليست أخلاقية تدعو إلى انحطاط الأخلاق وتتهم الأنبياء وخاصة آباءهم باللا أخلاق.

٥. ليست الديانة اليهودية ذات تقنين أخلاقي رفيع وإنما تشريع البابليين وخاصة حمورابي أول تشريع أخلاقي مقنن وضع في العالم.

من هذه النقاط أقول إن الأسس التي انبنى عليها إعلاء اليهودية أسس واهية ليست إلا من ادعاء كتبة اليهود وأوهامهم وتقول التوراة إن شريعة موسى نزلت عليه في جبل سيناء وهي من صنع الله ومنقوشة على لوحي حجر مكتوب على جانبها بأصابع الله وقد كتبها الله بيده مرة ثانية بعد أن ألقى موسى بها على الأرض وكسرها بسبب غضبه عندما شاهد قومه يعبدون العجل ويرقصون حوله، ولكن أصل الشريعة اختفت في الصراع الذي دار بين بني إسرائيل بين الذين يؤمنون والذين لا

يؤمنون، و لم يبق لها وجود وإن ما كتبه عزرا لم يكن إلا ذكرى من ديانة موسى وتوراة موسى أضاف إليها من أساطير الأقوام الآخرين.

وهناك مصادر كثيرة تدل على أن هذه التوراة التي نزلت على موسى تقوم على مبادئ التوحيد والعالمية للإله إيل، أي أنها غير التوراة التي كتبها الأحبار بعد عصر موسى بثمانية قرون.

فديانة موسى توحيدية خالصة ثم مالت إلى التعدد وعبادة الأوثان بعد ذلك وهناك ثغرة بين شرائع موسى والديانة اليهودية المتأخرة عنها في الزمن ثغرة سدت في البداية بعبادة يهوه ثم تم التخلص منها فيما بعد رويداً وعلى مهل.

ويقول الدكتور سوسة: ومن أهم ما أوضحت لنا الاكتشافات المكاسب العلمية الآن:

١. تشخيص أكثر مواقع المدن والأماكن التي ورد ذكرها في هذه المدونات القديمة وكتب التوراة.

٢. توصل الخبراء إلى أن الكثير مما ورد في التوراة من قصص وأساطير وشرائع يرجع إلى أصل قديم وجد مثيله أو ما يشابهه في المدونات السومرية والأكادية والكنعانية والبابلية والآشورية والمصرية.

٣. توصل الخبراء إلى أن مواد عديدة من التوراة مأخوذة من تشريع حمورابي وشرائع قديمة أخرى.

٤.توصل الخبراء إلى أن معظم شرائع التوراة هي نفسها الشرائع التي كان يمارسها الكنعانيون والبابليون من قبل وقد اقتبسها اليهود منهم ثم مارسوها وأدخلوها في كتبهم المقدسة.

٥.ثبوت كون اليهود غرباء دخلاء على فلسطين وأن كل ما يملكون من المقومات الثقافية ومن ضمنها اللغة وكتابهم المقدس مقتبس من الثقافة الكنعانية والآرامية وأنها من أصل عربي.

٦.ثبوت كون اليهود عاشوا في فلسطين وهم أقلية بين السكان الأصليين طيلة مدة مكوثهم فيها[1].

وإليك الآن الفرق اليهودية ولاحظ الفرق بين هذه الفرق:

١.الفريسيون يعتقدون أن التوراة بأسفارها الخمسة خلقت منذ الأزل وكانت مدونة على ألواح مقدسة ثم أوحي بها إلى موسى وعلى هذا فتدوينها بعده هو في الحقيقة إعادة تدوين، ويعتقد الفريسيون في البعث وقيامة الأموات والملائكة والعلم الآخر... كما يعتقد الفريسيون أن التوراة اثنتان التوراة المكتوبة والتوراة الشفوية (التلمود).

٢.الصدوقيون نسبة إلى صادوق الكاهن الأعظم في عهد سليمان أو إلى كاهن آخر وقد اعترف بهذا النسب عزرا واعتبر أبناء صادوق هم الكهنة الأصليون وهم من سبط

---

(١). سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ /جـ١ ص٣٤٣/.

لاوي وهم ينكرون البعث والحياة الأخرى والحساب والجنة والنار ويرون أن جزاء المرء يتم في الدنيا وينكر الصدوقيون التعاليم الشفوية والتلمود وحتى التوراة لا يرون أنها مقدسة قدسية مطلقة.

٣. القراءون يمثلون القلة بين اليهود فلما تدهور الفريسيون نما فريق القراء وورثوا اتباع الفريسيين ونفوذهم، والقراء لا يعترفون إلا بالعهد القديم ولا يعترفون بالتلمود.

٤. الكتبة تطلق هذه التسمية على مجموعة من اليهود كانت مهمتهم كتابة الشريعة لمن يطلبها فهم أشبه شيء بالنساخ، وكانوا أحياناً يسمون بالحكماء وأحياناً بالربانيين كما كان أحدهم ينادى بلقب أب عند المخاطبة.

وقد برز الكتبة كحملة الشريعة عندما جذب النفوذ السياسي الكهنة إلى مجاله فأصبح هؤلاء حلفاء للحكام الأجانب من فرس وإغريق ورومان وأخلوا المجال الديني للكتبة فاحتلوه(١).

وهذه هي أهم الفرق اليهودية في تلك الفترة وقد رأينا خلافهم في الإيمان بالبعث والآخرة هذا الخلاف جوهري في الديانة اليهودية ونخرج من هذا بنتيجة أن الوحي ليس مصدر لهذه الأسفار وقد كتب اليهود التوراة انعكاساً لأخلاقهم ولآمالهم.

---

(١). شلبي أحمد: اليهودية ص ٢٠٤.

وهكذا كتبت أسفار العهد القديم باسم الله والله برئ منها، إنها في الحقيقة صدى لانفعالات اليهود وأحاسيسهم.

ولهذا السبب وبسبب كثرة الكتاب الذين اشتركوا في تدوين العهد القديم كثرت الأخطاء فيه.

ويعدد الدكتور شلبي بعض الأخطاء منها:

١. لم يكن للعهد مدلول دقيق في أسفار العهد القديم فقد ورد في سفر الخروج أن إقامة بني إسرائيل في مصر كانت ٤٣٠ سنة وهي في الحقيقة ٢١٥ سنة، وقد اعترف مفسروا العهد القديم بوقوع الخطأ في هذا الرقم، وعدد الرجال الذين لم يبلغوا سن العشرين قبل خروج موسى من مصر كما ورد في سفر اللاويين لا يمكن عقلاً أن يكون صحيحاً فقد كان عدد بني إسرائيل عند دخولهم سبعين شخصاً ومحال أن يخرجوا ملايين في مدى قرنين.

٢.ورد في أسفار التوراة ما يقرر أن الأبناء يؤخذون بذنب الآباء حتى الجيل الثالث والرابع وفي سفر حزقيال ما يعارض هذا الاتجاه.

٣.تختلف الأحكام اختلافاً واسعاً من سفر إلى سفر آخر ويبدو ذلك بمقارنة الإصحاح الخامس والأربعين والسادس والأربعين من سفر حزقيال مع الإصحاح الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من سفر العدد..

٤. في سفر أخبار الأيام الثاني وردت الفقرة التالية: لأن الـــرب ذلل يهوذا بسبب آحاز ملك إسرائيل ولفظ إسرائيل غلـــط يقيناً لأن آحاز ملك يهوذا.

٥. تنفي الأسفار على أن نبوخذ نصر أسر يهوياكين إلى بـــابل ولكن الحقيقة التاريخية أنه قتله في أورشليم وأمـــر أن تلقـــى جثته خارج السور ومنع من دفنها كما ذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس.

٦. وقع في الفقرة الثانية والعشرين من الزبور الخامس بعد المائـــة في النسخة العبرانية: ((ولم يعصوا كلام)) وفي اليونانية جاءت هذه العبارة ((من عصوا كلامه)) وأحدهما خطأ يقيناً[1].

ومن أراد أن يطلع على مثل هذه الأخطـــاء فلـــيراجع كتـــاب: (إظهار الحق للمرحوم رحمة الله الهندي العثماني).

واختلف جماعة المسيحيين واليهود حول أسفار الكتاب المقـــدس اختلافاً كبيراً حول عدد الأسفار وتسليمهم بها.

١. السامريون لا يقبلون إلا بالكتب السبعة موســـى ويشـــوع والقضاة وتخالف نسخة توراتهم توراة اليهود.

٢. وتتألف المجموعة التي يقبل بها المسيحيون الآن من مذهـــب إلى مذهب فالبروتستنت واليـــهود لا يعـــترفون إلا بـــالكتب الموضوعة بالعبرية وهي أربعون، أما سائر المسيحيين فـــإنهم

---

(١). شلبي أحمد اليهودية ص ٢٣٨.

يضيفون ستة كتب وضعت باليونانية، والبروتستنت يطلقون على هذه الكتب صفة المنحولة وأما الآخرون من المسيحية فإنهم يلقبونها بالقانونية الثابتة.

ولنر كيف ضمت الكتب بعضها إلى بعض واعترف بها هؤلاء وأنكرها آخرون، وخير من تتبع هذه الخطوات رحمة الله بن خليل في إظهار الحق: ((إذ عرفت ذلك فاعلم أنه انعقد مجلس العلماء المسيحية بحكم السلطان قسطنطين في بلدة نانسي ٣٢٥ م ليتشاوروا في باب هذه الكتب المشكوكة ويحققوا الأمر فحكم هؤلاء العلماء بعد التشاور والتحقيق في هذه الكتب أن كتاب يهوديت واجب التسليم، وأبقوا سائر الكتب المختلفة مشكوك كما كانت وهذا الأمر يظهر من المقدمة التي كتبها جيروم على ذلك.

ثم انعقد مجلس لوديسيا سنة ٣٦٤م فأبقى علماء ذلك المجلس حكم علماء المجلس الأول في باب كتاب يهوديت على حاله وزادوا على حكمهم سبعة كتب أخرى كتاب أستير رسالة يعقوب، الرسالة الثانية لبطرس، الرسالة الثانية والثالثة لحنا، رسالة يهودا رسالة بولس إلى العبرانيين.

ثم انعقد مجلس كارتهيج سنة ٣٩٧م وكان أهل هذا المجلس الفاضل المشهور أكستاين ومئة وست وعشرون شخصاً عنده من العلماء المشهورين فأبقى أهل هذا المجلس حكم المجلسين الأوليين على حكمهما

وزادا هذه الكتب: كتاب وزدم، وكتاب طوبيا، كتاب باروخ، كتاب أيكليز باستيكس، كتاب المكابين كتاب مشاهدات يوحنا.

ثم انعقد بعد ذلك ثلاثة مجالس مجلس نزلو ومجلس فلورنت ومجلس ترنت فزادوا على حكم كارهيج اسم كتاب باروخ وفصلوه عن أرميا بعد أن كان ملحقاً به.

وفي القرن السادس عشر ظهرت فرقة بروتستنت فردت باروخ وطوبيا ويهوديت ووزدم وأيكليز باستيكس والمكابين، وقالوا إن هذه الكتب واجبة الرد وغير مسلمة وردوا بعض أبواب كتاب أستير وسلموا ببعضه لأن هذا الكتاب كان ستة عشر باباً فقالوا إن الأبواب التسعة من الأول وثلاث آيات من الباب العاشر واجبة التسليم وعشر آيات من الباب العاشر وستة أبواب باقية واجبة الرد وتمسكوا في هذا الإنكار بستة أوجه:

١. هذه الكتب كانت في الأصل باللسان العبري والكلداني ولا توجد الآن في تلك الألسنة.
٢. لا يسلم اليهود بأنها إلهامة.
٣. جميع المسيحيين لم يقبلوا بها.
٤. قال جيروم إن هذه الكتب غير كافية لتقدير المسائل الدينية وإثباتها.
٥. صرح كلوس إن هذه الكتب تقرأ لكن لا في كل موضع.

٦. صرح يوسيفوس في الباب الثاني والعشرين من الكتاب الرابع بأن هذه الكتب حرفت لاسيما كتاب المكابين الثاني[1].

إن هذه الكتب اختلف فيها اختلافاً كبيراً وهناك ما يناقض هذه الزيادة فقد أضاعوا كتباً كثيرة.

عرف أن كريزاستم وعلماء كاثوليك يعترفون أن اليهود ضيعوا كتباً لأجل غفلتهم بل لأجل عدم ديانتهم ومزقوا بعضها وأحرقوا بعضها فيجوز أن تكون هذه الكتب داخلة في السبعة عشر كتاباً التي قال عنها يوسيفوس بل أقول إن الكتب التي أفصلها الآن لا مجال لفرقة بروتستنت ولا لكاثوليك ولا لغيرها أن ينكر فقدانها من العهد العتيق فيجوز أن يكون أكثرها داخلاً في السبعة عشر، والكتب المفقودة:

١. سفر الحروب جاء ذكره في الآية الرابعة عشرة من الباب الحادي والعشرين من سفر العدد وقد ورد تعريف هذا السفر في تفسير هنري واسكات حين يقول: والغالب أن موسى كتب هذا السفر لتعليم يشوع وكان فيه بيان حدود أرض موآب.

٢. سفر ياشر جاء ذكره في الآية الثالثة عشرة من الباب العاشر من كتاب يشوع وجاء ذكره في الآية الثانية عشرة من الباب الأول من سفر صموئيل الثاني.

٣. الكتاب الثالث لسليمان عليه السلام ألف وخمسة زبورات.

(١). الهندي العثماني رحمة الله: إظهار الحق ص ٤١.

٤ .تاريخ المخلوقات لسليمان.

الأمثال فيه نجد ثلاثة آلاف مثل لسليمان ومن هذه الأمثلة إلى الآن باق أيضاً.

وجاء ذكر هذه الكتب الثلاثة في الآية الثانية والثلاثين والثالثة والثلاثين من الباب الرابع من سفر الملوك الأول.

قال آدم كلارك في المجلد الثاني في تفسيره ذيل شرح الآية الثانية والثلاثين في حين أن الأمثال والزبورات له.

الأمثال التي تنسب إلى سليمان تسعمائة أو تسعمائة وثلاثة وعشرون تخميناً، وإن سلم قول البعض إن الأبواب التسعة من أول الكتاب ليست من تصنيف سليمان عليه السلام فستمائة وخمسون تخميناً وبقي من ألف وخمسة زبورات نشيد الإنشاد فقط.

٥ .كتاب قوانين السلطنة تصنيف صموئيل الذي جاء ذكره في الآية الخامسة والعشرين من الباب العاشر من سفر صموئيل الأول.

٦. تاريخ صموئيل.

٧. تاريخ ناثان النبي.

٨. تاريخ جاد الرائي الغيب وجاء ذكر هذه الكتب الثلاثة في الآية الثلاثين من الباب التاسع والعشرين من السفر الأول من أخبار الأيام.

قال آدم كلارك في الصفحة ١٥٢٢ من المجلد من تفسيره: هـذه الكتب مفقودة.

٩. كتاب سمعيا.

١٠. كتاب عيدو الرائي الغيب وجاء ذكرهما في الآية الخامسة عشرة من الباب الثاني عشر من السفر الثاني من أخبار الأيام وفي هذه الآية ذكر تاريخ ناثان النبي أيضاً فقال آدم كلارك في الصفحة ١٥٣٩ من المجلد الثاني من تفسيره: هذه الكتب كلها مفقودة.

١١. كتاب أحيا النبي.

١٢. مشاهدات عيدو الرائي الغيب، وجاء ذكرهما في الآية التاسعة والعشرون من الباب التاسع من السفر الثاني من أخبار الأيام، قال آدم كلارك في الصفحة ١٥٣٩ من المجلد الثاني من تفسيره: هذه الكتب كلها مفقودة.

١٣. كتاب ياهو النبي بن حنائي وجاء ذكره في الآية الرابعة والثلاثين من الباب العشرين من السفر الثاني من أخبار الأيام، قال آدم كلارك في الصفحة ١٥٦١ من المجلد الثاني: هـذا الكتاب الآن مفقود رأساً وإن كان موجوداً في وقت تأليف السفر الثاني من أخبار الأيام.

١٤. كتاب أشعيا النبي الذي كان فيه حال السلطان عزيا من الأول إلى الآخر وجاء ذكره في الآية الثانية والعشرين من

الباب السادس والعشرين من السفر الثاني من أخبار الأيـــام، قال آدم كلارك في الصفحة /١٥٧٣/ من المجلد الثاني مـــــن تفسيره هذا الكتاب مفقود رأساً.

١٥. كتاب مشاهدات أشعيا النبي كان فيه حـــال الســـلطان حزقيا مكتوباً بالتفصيل وجاء ذكره في الآية الثانية والثلاثــون من الباب الثاني والثلاثين من أخبار الأيام، وقال آدم كـــلارك في شرح هذه الآية: هذه المرئية مفقودة الآية.

وفي تفسير دورالي وروجر مينت هذه المرئيـــة مفقـــودة الآن ولا يمكن أن تكون هذه الحديثة مرئية المشهورة الآن لأن المشـــــهور على حادثة أورشليم وموت حزقيا وهذه كانت علـــــى مـــوت أشعيا.

١٦. كتاب تواريخ الأيام وجاء ذكـــــره في الآيـــة السادســـة والعشرين من الباب الثاني عشر من كتاب نحميا، قـــــال آدم كلارك في الصفحة /١٦٧٦/ من المجلد الثاني من تفســـــيره: هذا الكتاب لا يوجد في الكتب التي هي عندنا لأنه لا يوجـــد فيها الفهرس الكذائي بل كان هذا كتابا آخر هـــو مفقـــود الآن.

١٧. سفر العهد لموسى الذي جاء ذكره في الآية السابعة مـــــن الباب الرابع والعشرين من سفر الخروج.

١٨. كتاب أعمال سليمان الذي جاء ذكره في الآية الحادية والأربعين من الباب الحادي عشر من كتاب السلاطين الأول وقد عرفت أن يوسيفوس ينسب إلى حزقيال كتابين آخرين غير كتابه المشهور وهو مؤرخ معتبر عند المسيحيين فصارت الكتب المفقودة عشرين كتابا.

ولا تقدر فرقة بروتستنت أيضا على إنكارها وقال طامس انكلس من علماء الكاثوليك في كتابه المسمى بمرآة الصدق ١٨٥١: اتفق العالم على أن الكتب المفقودة من الكتب المقدسة ليست بأقل من عشرين كتابا[1].

(١). الهندي العثماني رحمة الله بن خليل: إظهار الحق /جـ١ ص٢٢٧/.

هل اليهودية ديانة سماوية؟

بعد أن جلنا في الديانة اليهودية هذه الجولة أظننا نستطيع أن نتساءل:

هل اليهودية ديانة سماوية؟

ما علاقة موسى بالله؟

من الذي أنشأ اليهودية؟

هل جهل الأمم الآخرى هو الذي قاد اليهود إلى ركوب موجة التوحيد فجعلوا أنفسهم أول ديانة توحيدية وادعوا بأن شريعتهم سماوية؟

هذه الأسئلة الأربعة جوابها واحد فمتى أجبنا على واحد أجبنا على الأسئلة الباقية.

نحن لا نشك بأن موسى عليه السلام هو رسول موحى إليه من الله لا من يهوه، يؤيده في ذلك نص التوراة التي كانت تسمي بني إسرائيل بأسماء إيلية لا بأسماء يهوية، ولو كان موسى رسول يهوه لسميت الأسماء بيهوه وينطبق على هذا إيمان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأبنائه وحتى عهد موسى لا نلحظ أية تسمية يهوية.

وكذلك يؤكده القرآن الكريم فقد عد موسى بين الرسل الذين أرسلهم الله لهداية البشرية سلسلة تبدأ من نوح وتنتهي بمحمد عليهم السلام، وقد ذكر موسى في القرآن الكريم كثيرا والآيات التي ذكرت موسى ودعوته ذكرت معه الإسلام والمسلمين و لم تذكر اليهودية اطلاقا، فقد ورد اسم إسماعيل يسمع + إيل ويشرائيل أو إسرائيل وهذان العلمان

أشهر من أن يعرفا ولو كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب يعبدون يهوه لسميت التوراة يهوه شاماع ويهو يشار ولكن شيئا مـــن هـــذا لم يحدث ولو تتبعت الأسماء التوراتية في تلك الفترة لما لاحظنا أي اسم مـــن الأسماء مركب معه يهوه مما يدل أنه حتى بعد الخروج لا يعرفون يـــهوه على الإطلاق.

ولهذا نقول إن موسى لا علاقة له بيهوه وكذلك في العهد السابق ولو تتبعنا سلسلة نسب داود لما لاحظنا حتى داود أيضا أي اسم يـــهوي مما يدل دلالة رسمية على أن داود لم يعرف يهوه لا هو ولا آباؤه، ولعـــل أول اسم ورد في التوراة يهوي في هذه السلسلة هو يهوشافاط ابن آســـا فكيف خلق هذا الاسم هل هو فجأة دخل الاسم أم جعلوا له أسماء قبله؟

لقد ورد في التوراة أسماء يهوية في زمن سليمان عليـــه الســـلام وداود:

١. بناياهو بن يهوياداع وجعلوا له الوصايا على سليمان في تولية الملك وهو الذي بطش بيوآب بن صرويه وقتله وكان يـــوآب القائد العام للجيش في أيام داود ولا أعتقد أن هذا الاســـم إلا من مخيلة اليهود فلم أر في سلسلة آباء سليمان من اسمه يهوي وإنما ورد اسم بعلي في أسماء أبناء داود مما يدل على تأثر كتبة اليهود في عبادة بعل الإله الفلسطيني.

٢. الملك يهو شافاط وشافاط القاضي والحاكم ويمكـــن ترجمـــة الاسم الحاكم بيهوه أو الحاكم بالله.

فكيف تسرب الاسم اليهوي إلى هذه السلسلة؟

هذا السؤال من الصعب الإجابة عنه فقد عرف آسا بـــــالصلاح حسب رأي التوراة فكيف يشذ عن عبادة إله أبائه داود وأبنائه إن هـــذا الاسم لهو اسم دخيل ولا أظنه إلا من مخيلة اليهود فقط.

والغريب في الأمر أنهم لا يلفظون يهوه في التوراة ويقولـــــون إن مجرد ذكره حرام وهم يقولون أدوناي أو السيد الرب فكيف يجرؤن على التسمية باسمه؟

والغريب في الأمر أنهم جعلوا نبيين في زمن واحد أحدهما اسمـــــه إيليا والثاني اسمه ياهو بن حناني فهل عبد بنو إسرائيل الإلهين معـــا إيـــل ويهوه فتسمى نبي باسم إيلي وتسمى نبي آخر باسم يهوي.

هذه الأمور جعلتني أرفض تسمية يهوه في هذه الفترة وأقـــول إن يهوه لم يعرف بني إسرائيل و لم يعرفوه حتى في نهاية الأسر البابلي حيـــث أخذوا الاسم من الآلهة الإيرانية.

وعلى هذا الأساس فإن اسم يهوه قد أقحم إقحاما على التـــوراة بعد أن كتبت في نهاية السبي وفي أيام أرتحششتا.

٣. لم تلحظ أي عبادة ليهوه في دولة بني إسرائيل كما حـــررت التوراة وإنما كانت عبادة لإيل أو بعل ولكنـــها ســـلكت في سلوك إسرائيل اسما بعنوان يهورام وأرى أيضـــا أن الاســـم مقحم.

ولما رجعت إلى الطبعة اليونانية وجدت الأسماء على النحو التالي:

يوشافاط ــ يورام ــ يوناداب ــ يواش ــ يوآحاز.

يهوشافاط ــ يهورام ــ يهوناداب ــ يهوآش ــ يهوآحاز.

ومن ثم خلت الأسماء بعد ذلك من يهوه ولكن كتبة التوراة أرادوا أن يحتفظوا بالتسمية التوراتية وحولوا الأسماء الآرامية إلى أسماء يهوية:

عزرايا = عزرياهو. أمصيا= أمصياهو، رمليا=رملياهو، صدقيا=صدقياهو، عزيا=عزياهو، حزقيا=حزقياهو، يوشيا=يوشياهو، أرميا=أرميا هو

وهكذا أقحموا يهوه على الأسماء إقحاما.

ومن ثم لو رجعنا إلى ملوك يهوذا وآخر ملوكهم للاحظنا مايلي:

١.الياقيم: حول إلى يهوياقيم.

٢.الياكين: حول إلى يهوياكين وهو الذي قال يوسيقوس عنه إنه قتل، قتله نبوخذنصر وقالت التوراة إنه أسره وكرمه.

إذن باستطاعتنا أن نقول بكل ثقة وهدوء إن موسى وداود وسليمان ومن جاء بعدهم لم يعرفوا يهوه ولا التسميات اليهوية على الإطلاق وإنما أقحمت الأسماء اليهوية إقحاما وغيرت تغييرا حتى تلائم اسم يهوه.

ما علاقة عزرا بالله؟

هذا السؤال الذي يسأله كل من يبحث في اليهودية كديانة سماوية ولعله مما يلفت الأنظار أن اليهود يعتبرون عزرا مؤسس اليهودية وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في هذا المنوال: ﴿**قالت اليهود عزير ابن الله**﴾ وعزير هذا هو عزرا.

ولي ملاحظة قبل أن أستكمل نقاشي هذا:

إن عزيرا لا يعتبر في عداد الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم وإنما كل ما نعرفه عنه أنه مبجل عند اليهود ويعتبرونه ابن الإله المعبود لديهم، وقد مر بنا في نقاش الفقرات السابقة أنه منشئ اليهودية وهو الذي وافق على وضع يهوه إلها معبودا وأعطاه من السمات الإلهية ما استطاع واعتبر بديلا من الله عند المسيحيين وقد ناقشنا عزرا وعمله ولسنا بحاجة للعودة إليه من جديد وسنتركه لنبحث في الديانة التي أنشأها.

يقول البروفسور كلاين: ليست اليهودية من الأديان التي ترغب الناس في اعتناقها، ولقد أغفل اليهود التوراة المترلة وعملوا بالتوراة المكتوبة على هواهم[1].

إننا أمام الديانات السماوية الأخرى نلحظ عدة أركان مهمة فيها:

---

(١). محمد حميد فوزي: عالم الأديان ص ٣٤٥.

١. الإله الذي يؤمن به الناس إله عالمي فهو رب العالمين وليس ربا قبليا خاصا ولو تتبعنا القرآن الكريم للاحظنا هناك نداء مختلف النواحي:

- يا أيها الناس: حينما يريد أمرا عاما.
- يا أيها المؤمنون: حينما يريد أمرا خاصا.

كلنا حينما نصلي نقرأ أم الكتاب وفي بدايتها الحمد لله رب العالمين ولا نقول رب العرب أو رب المسلمين.

هذا الإله العام لكل الناس الخالق للسموات والأرض وما بينهما لا نلحظ وجوده في الديانة اليهودية وإنما نلاحظ في الأسفار الأخيرة التي لم يلعب بها عزرا لعبته إنه إله خالق السموات والأرض ولكنه إله قبلي خاص فهو قد سطا بواسطة الكتبة على مفهوم الإله العالمي ولكنه ظل إلها خاصا ينادي شرذمة يعقوب ودودة إسرائيل.

٢. كل دعوة سماوية تؤمن بالقيامة والدينونة بيوم الحساب والعقاب بالآخرة إما إلى جنة عرضها السموات والأرض أو إلى جهنم قال الله في القرآن: ﴿**يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد**﴾ ونحن لا نرى في الديانة اليهودية إيمانا بهذا الركن وقد رأينا اختلاف الفرق اليهودية ولو وجد هذا الركن لما اختلفوا فيه هذا الاختلاف الكبير وسنناقش هذه ين الركنين كل ركن على حده.

الإله العالمي

لم يكن عند اليهود إلهاً عالمياً إنما كان هناك تعدد للآلهة وخير من يمثل الرفض للدعوة التوحيدية الكاتب اليهودي رافائيل باتاي: ((إن عامة الناس من اليهود وغيرهم مازالوا يتصورون أن الديانة العبرانية الرسمية كانت من مبدأ أمرها ديانة توحيدية بدأت بأبرام الموحد بيهوه غير أن المتخصصين يعطون ظهور التوحيدية العبرانية تاريخا لاحقا لأبرام وزمانه ببضعة قرون إذ يرجعون بدايات التيار التوحيدي إلى زمن الأنبياء الأكابر، وبأمانة العالم يتحفظ باتاي فيقول: إنه يجب أن نأخذ في الحسبان أن إرجاع بدايات التيار التوحيدي حتى إلى زمن النبيين الأكابر يجب أن يؤخذ بحذر ويحفظ نظرا إلى ما وجد طريقه إلى الديانة من عقائد باتت جزءا لا يتجزأ منها في الأزمنة التلمودية وبالنظر إلى ما انطوت عليه الإشارات القبالية من تعدد الشخوص في شخص الخالق))(1).

ولي على هذا النص مايلي:

١. إن الباحثين في التوراة يغفلون القرآن الكريم ولو رجعوا إليه ولوجدوا أن التوحيد الحق عند إبراهيم.

٢. الأنبياء الكبار سواء كانوا موسى أم أشعيا أو أرميا قد دس على لسانهم الشي الكثير ونحن مع باتاي في الأخذ عنهم بحذر.

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ٧١.

٣.لو تركنا التلمود جانبا لرأينا في التوراة تعدد الإلـــه يظـــهر بوضوح أما التوحيد فهو أمر ثانوي أمام تعدد الآلهة.

ويتابع شفيق مقار شكه في التوحيد اليهودي فيقول: ((وذلك من شأنه أن يضع موضع الشك أيضا التصوير اللحوح الذي عـــني مؤلفـــو التوراة بترسيخه للقوم كجماعة منغلقة على حد ذاتها من بـــدو رحـــل عارفين بالله موحدين بيهوه منذ تلك العصور السحيقة رغم تـــأكيدات يهوه ذاته أنهم لم يعرفوه))[1].

وعلى أية حال لم يكونوا بأي معيار موحديـــن وأنهـــم ظلـــوا يستعيرون الآلهة والإلهات والعبادات من الأقوام المستقرة المتحضرة الـــتي تطفوا على أراضيها أو احتكوا بها في تجوالهم الذي أسمته التوراة بســـببه بالتائهين كما يوقفنا ذلك على التاريخ على أن إلههم المذكر الرئيســـي الذي خرجوا به من عيشهم في أرض الرافدين كان إله العواصف والمطـــر والخصب والرعد حداد/شداد ومن الاسم الأخير جاءت إيل شداي.

وقد عبدوا آلهة غير يهوه واعتبر يهوه إله الحرب ولهـــذا كـــانوا ينادونه رب الجنود أما الآلهة الأخرى فقد كان لها أسماؤها الأخرى.

وأمام سقوط مملكة يهوذا على يد بختنصر وأسر بـــني إســـرائيل وأخذهم إلى بابل وعيشهم على ضفاف الفرات بشـــكل خـــاص بـــرز اتجاهان كهنوتيان:

---

(١). المصدر السابق ص ١٢١.

١.طفرة عارمة من الشراسة التي كانت قوية في شخصية يـــهوه منذ خلقه فصور روائياً في أسفار التوراة ولهذا بدا يهوه عنيفـاً مدمراً.

٢.طمر الآلهة المنافسة التي خاف منها رجال الكــهنوت علـى مصالحهم.

ويقول شفيق مقار: ((إننا نجد أنفسنا وجها لوجه مع نص يفصح بجلاء عن تعدد الآلهة لدى الشعب مما جعل كهنة يهوه يبدؤون بالوصايا بتحريم أية عبادة إله آخر بجانب يهوه وقد تطلب تنفيذ تلــك الوصيــة قرونا بأكملها من الصراع بين كهنة يهوه والشعب كان مطلبا أساسياً لا غنى عنه لصنع أمة متماسكة في ظل هيكل موحد، وفي غمار ذلك كـان تفكير موسى متأثرا تأثيرا قويا كالذي حدثنا عنه الباحث اليـــهودي في شأن صياغة موسى للوصايا العشر بالمفهوم التوحيدي المصري النـاطق في صلوات مصرية كهذه والإله واحد وحيد لا وجود لآخر معه))[١].

وفي الإصرار على تحريم صنع تماثيل منحوتة أو صور مما في السماء من فوق أو مما هو في الأرض من تحت أو في الماء، ورغم ذلـــك فقــد صورت أصنام بأمر يهوه كما تقول التوراة صور الكـــروب في تـابوت العهد وفي هيكل سليمان.

إن تعدد الآلهة لا سبيل إلى إنكاره في الديانة اليهودية وكان الآباء يدعون أبناءهم الأبكار بأسماء إيلية وفيما بعد يهوية، وأما الأصغر فقــد

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٤١٨.

كانت أسماؤهم بعلية فابن شاول اشبعل وابن يوناثام يربعل وابن داود بعلياداع، وفي أيام إيليا لم يجد من بني إسرائيل ممن لم يعبد البعل إلا /٧٠٠٠/ عبدوا إيل.

ويقول رينيه ديسو إن التوحيد الإسرائيلي ليس أصليا بل هو نهاية تطور طويل المدى ظهرت نتائجه بعد سبي بابل حيث فهم اليهود معنى التوحيد العام.

لكن نسيب الخازن عارضه معتبرا أن عاموس أو أشعيا وعوسيه ممهدون للتوحيد قبل السبي وعلى نفس النقطة يلح حتى أنه جرد إبراهيم وموسى وداود من التوحيد وجعله يبتدئ عند اليهود المذكورين.

شرح رأي ديسو:

١. يعتبر ديسو أن اليهود أخذوا عن بابل معنى التوحيد ونحن نقره على أخذه.

٢. يتضمن رأيه فكرة أن البابليين موحدين وهو على حق.

٣. نخالفه في اعتبار اليهود موحدين حتى بعد السبي إلى اليوم.

٤. مخالفة الخازن له غير صحيحة وسيظهر باطلها وباطل رأي حتى ولوبون.

لماذا لا نعتبر اليهود موحدين؟

نسلط ضوءا على عماد التوحيد وهي عالميته فالدين الموحد عدا جوهره الأخلاقي السامي يجب أن يكون في دعواه عالميا إنسانيا لا يفرق

بين الشعوب فهل تخلى اليهود مع عاموس وأشعيا وأرميا وغيرهم عن القبلية والإقليمية وفكرة الشعب المختار؟

قلنا الدين الموحد عالمي عدا عن أن جوهره الأخلاقي يجب أن يكون إنسانيا، ونعود إلى مسألة الجوهر بالذات فنقسمها إلى قسمين:

هناك أديان ليست عالمية في دعواها لكن جوهرها القومي من طراز أخلاقي رفيع وهناك أديان أو دين غير عالمي وجوهره عفن وهو اليهودي.

ومسألة الجوهر في التوراة ترتبط بقوة بقبلية الدين العبراني لأن القيم عدا ماديتها صارت محصورة بما يسمى الشعب المختار(١).

وهكذا صاغ اليهود يهوه فخلقوه على صورهم ومثالهم، هذا اليهودي عزرا أوجد صورة لإلهه على شكله ومثاله صورة متزمتة لإله فزعوم وهو مجرم سفاح غضوب ليس له من معالم الإنسانية ومزاياها شيء فكيف نوصله إلى مرتبة الألوهية، إن القيادة في البيت اليهودي للمرأة والنسب للمرأة ويحق لها أن تزني بكل الأمم لتنال نقودا ولهذا كان يهوه على مثال الرجل اليهودي وحق لليهودي أن يعبد كل إله إذا كان مصلحة اليهودية تأمر بذلك فعبدوا إيل وبعلا...

ولنكن منطقيين لو جمعنا أحقر الصفات وأخسها في شخص واحد لما جسد عشر أعشار الانحطاط المتجسد في يهوه فكيف نعلنه إلها؟

كيف نعتبره رديفا لإلهنا نحن؟

---

(١). عبد المسيح جورج: فكرنا الديني بين التعريف والتحريف ص ٦٢.

كيف يجوز القول يهوه هو الله؟

أفقدنا الحس السليم حتى نتحدث عن توحيد عبري[1].

يقول الأب حايك: من الخطأ علميا القول بوحدانية الله دخل تاريخ البشرية بواسطة الشعب الإسرائيلي..

اليوم الآخر

هذا الركن هام في كل دعوة أخلاقية دينية لأنه إذا ترك الإنسان دون حساب فيما بعد الموت لبغى وطغى لأنه يعلم أن الموت آت لا بد منه وعليه فالعقوبات الأرضية ليست كافية وحدها لجعل الإنسان نبيلا خلوقا.

فلننظر إلى الديانة اليهودية وما مدى إيمانها باليوم الآخر.

إن الديانة اليهودية تأثرت في هذا الركن في الديانة البابلية ورأت في واقعة الموت انتهاءا نهائيا للحياة وكان من الطبيعي أن ترى الأرض منشأ للحياة ومآلا نهائيا لتلك الحياة على النحو الذي نجده في مفهوم الجب والهاوية وشيول في هذه العقيدة اليهودية.

ويرى شفيق مقار أن اليهود حذفوا الإيمان بالآخرة ليخفوا منابع الديانة اليهودية التي أخذوها عن ديانات مصر فالديانة المصرية كانت تؤمن باليوم الآخر والحساب ولهذا حذف اليهود بعدهم الأخروي ويرى أن البعد الأخروي ركن هام لكل دعوة دينية أخلاقية ويرى في الديانة المصرية التوحيدية عند أخناتون ديانة هامة وعنها أخذ اليهود الكثير من

---

(١). المصدر السابق ص ٦٥

ديانتهم غير أهم أهملوا البعد الأخروي عن قصد لإعلائهم أنفسهم على أسيادهم المصريين فقد سرقوا من المناهل المصرية وطمسوا تلك المنابع لئلا تعرف أصولها.

ويقول شفيق مقار: ((ولنصغ إلى ما يسلم به الدعاة اليهود أنفيهم، لاشك أن فكرة اليهود عن العالم الآخر لم تتبلور إلا في عصور متأخرة أما تلك الأجزاء من العهد القديم الذي يفترض أنها ألفت قبل غيرها فإننا لا نجد فيها إلا إشارات متفرقة غامضة وشديدة الإبهام في أفضل حالاتها إلى ما قد يمكن القول بأنه اعتقاد ببقاء الفرد بعد موته، ولا يمكن الخروج منها إلا بأن كل ما يمكن أن يبقى من الكائن البشري بعد موته لا يزيد عن عظامه ودمه واسمه، وأن تلك البقايا يمكن أن تتواجد بعد الموت في مكان يدعى شيؤل وما من سبيل مهما تمادينا في التخيل أن ندعي أن شيؤل هذه تعني البقاء))[1].

إذن لم تؤمن اليهودية بعالم البقاء في الآخرة ولم تؤمن في الثواب والعقاب فيها وكل ما آمنت به أن الثواب والعقاب في هذا الحياة الدنيا ((أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على هذه الأرض التي أعطاك الله إياها)) والعقوبات الموجودة في التوراة كلها عقوبات مادية جسدية في هذه الحياة الدنيا فحكم الإعدام لأتفه الأسباب ينفذ وقد نفذ في رجل بائس قد احتطب في يوم سبت.

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٤٤١.

ويقيم مقار مقارنات بين الديانة اليهودية وبين الديانة المصرية ومن ثم يخرج ((المشكلة أن من ترجموا النص مسيحيون وأنهم ترجموه في وقت متأخر للغاية وتحت تأثير الخلفية التي تسربت إليها فكرة عالم الأخيلة هيدز من العالم الهلليني، ووجد المترجمون الورعون وقد شعروا أنه لا يليق ترك اليهودية هكذا بغير عالم آخر حتى على الطراز الأسطوري اليوناني.

بل ومن المرغوب والملائم ترجمة شيؤل مستقر حشد الموتى اليهودي بمكان تسكنه الأخيلة إلا أن الخطأ الأول الذي ترددوا فيه من غير قصد نتيجة لأن أحدا لم يكن قد وافقهم ربما على أن سفر الأمثال سلب من مصر وجعل تلك العملية التلفيقية حسنة النية تتخذ طابعا تضليليا غير لائق إطلاقا في شأن كتابات مقدمة كهذه))[1].

وهكذا بات نعيم اليهودي على هذه الأرض وجحيمه على هذه الأرض فهو في زعمه سيد هذه الأرض وقد خلقه يهوه ليكون سيد البشرية ناسيا أن جماعة الأحبار والكتبة هم الذين فصلوا هذا الدين كما شاءوا وصاغوا يهوه كما أرادوا.

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٤٤٢.

الخاتمة

لاشك بعد هذه الجولة السريعة التي قدمتها في دراستي لليـــــهود يمكننا أن نستخلص منها أن اليهودية ليست سماوية للأسباب التالية:

١.ليست الديانة اليهودية إنسانية فهي عصبية عنصرية مغلقـــــة والديانات السماوية ديانات لكل الناس فالإله خالق البشـــــر جميعا وهو يشملهم برعايته جميعا إله عالمي لا إله قبيلة خاصة أو طوطم خاص.

٢.ليست الديانة اليهودية توحيدية فهي قد اعتمدت في التـــوراة آلهة عدة منها إيل ويهوه وهي آلهة متناقضة في صفاتها.

٣.ليست الديانة اليهودية أخلاقية والديانات السماوية تعتمـــــد دائما المبادئ الأخلاقية ولا تتهم أنبيائها بفساد الأخلاق كما فعلت التوراة مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

٤.لا تعتبر الديانة اليهودية نشأتها على يدي موسى بل هي ديانة متطورة أتمها الأنبياء المتأخرون، والديانات السماوية حينمـــا يتترل بها الوحي تكون كاملة وتنتهي بوفاة رسولها الذي يترل عليه الوحي.

والله من وراء القصد

عبد المجيد همو

المصادر

١.القرآن الكريم.

٢.الكتاب المقدس.

٣.إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية.

٤.مقار شفيق: الجنس في العهد القديم والتوراة.

٥.شلبي أحمد: اليهودية.

٦.الهندي العثماني رحمة الله بن خليل: إظهار الحق.

٧.دروزة محمد عزة: القرآن والمبشرون.

٨.سيغموند فرويد: موسى والتوحيد.

٩.حرب محمد فرزات: موجز تاريخ سورية القديم.

١٠. سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ.

١١. الخازن نسيب وهبيه: أوغاريت.

١٢. ديب سهيل: التوراة تاريخها غايتها .

١٣. أسد أشقر: الخطوط الكبرى في تاريخ سورية.

١٤. شربنتية أصطفان: دليل إلى قراءة الكتاب المقدس.

١٥. مقار شفيق: السحر في التوراة.

١٦. محمد حميد فوزي: عالم الأديان.

١٧. جورج عبد المسيح: فكرنا الديني بين التعريف والتحريف.

كتب صدرت للمؤلف

الفكر اليهودي:

١. بلقيس بين الحقيقة والأسطورة.

٢. هاجر بين الحرية والعبودية.

٣. بابل ولصوص اليهود.

٤. التوراة تحريف وتزوير:

- التاريخ.
- حقيقة إسرائيل.

٥. القدس في التاريخ.

٦. أنبياء القرآن.

النوع الأدبي:

١.ديوان شعر البراعم

٢.تحقيق ديوان الإمام الشافعي رضي الله عنه

٣.تحقيق ديوان الإمام علي رضي الله عنه.

٤.تحقيق شرح الشيباني للمعلقات التسع.

النوع الفلسفي:

فصل المقال فيما بين الحقيقة والحكمة من الاتصال.

كتب تحت الطبع

١. ديوان عنترة دراسة.

٢.صرخات عربية.

٣.نفي الطغيان رد على محمد شحرور.

٤.إحياء علوم الدين للإمام الغزالي تحقيق ودراسة

٥.ديوان صرخة عربية.

٦.التوراة تحريف وتزوير:

التاريخ جزء ٣ وجزء ٤

الجغرافيا جزء ١ وجزء ٢

الدين جزء ١ وجزء ٢

٧. مصادر التوراة:

١. التوراة من كتبها

٢. الكنعانيون والتوراة المحرفة

٣. الديانة الفرعونية وأثرها في التوراة

٤. بابل وتحريف التوراة

٥. الأثر الفارسي في التوراة

٦. التوراة وفلسطين

٧. هل الديانة اليهودية سماوية

الفهرس العام

